obeikandl.com

«لك فقط»

أفكار متناثرة

«لك فقط»

أفكار متناثرة

إسراء صبحي

دار الجندي للنشر والتوزيع القدس

2014

تدقيق لغوي: الاستاذ عبد المجيد جابر

مونتاج:اسامة سلهب

تصميم الغلاف: شذى غضية

جميع حقوق الطبع محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار أو طباعة أو ترجمة هذا الكتاب أو جزء منه دون إذن أو موافقة الناشر.

All rights reserved, no part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

obeikandl.com

«لك فقط»
أفكار متناثرة

إسراء صبحي

obeikandl.com

بحوزتك
الآن نسخة
من الألف
الأولى

obeikandl.com

فقرات تلخص بعضا من مشاهد حياتنا اليومية

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

إلى أبي الذي علمني القراءة،
إلى معلمتي التي رقدت بسلام
بعد أن علمتني العربية، إلى
الذين انتظروا هذه الكلمات
لنتشارك سعادتنا، إليك
أنت فقط.

obeikandl.com

مقدمة

قبل أن نخوض سويا في خضم المفردات عليّ أن أؤكد لكم للمرة الأولى أن ما هو آت حقيقي بامتياز. لم أكتب سطرا إلا وكان لي نصيب من السعادة أو الحزن الذي يصيبني حتى النقطة الأخيرة من كل فقرة أخطّها. لعلّكم ستشعرون ذلك وأنتم تقلبون الصفحات في محاولة الوصول إلى ما تريدونه، لكنني وللمرة الأولى التي أكتب فيها لكم فإنني أعتذر عن تقصيري في إرضائكم، فلم أكتب للوصول إلى نقطة معينة نتفق عليها جميعا، وإنما كتبت كل ما كان عليّ كتابته، فنحن غالبا نشعر بالأشياء على حد سواء لكننا لا نستطيع البوح خوفا على سمو كبريائنا من الخدش.

فكرة 1

كانت في البداية جمل صغيرة ليست أكثر من رد على منشور، ثم أصبح شغفا يراودني فانطلقت الكلمات لتسطر فقرات تطول حبا أو سخاء أو شيئا آخر أحيانا، لا أدري كيف أصفه حتى لحظتي هذه، إلى أن أتيت هنا لأكون معكم الآن وأنتم تقرؤون، فحان وقت إطلاق سراح كلمات خبّأت وراءها الكثير الكثير. بعض هذا الكثير استطعت أن أبوح به والبعض الآخر لا يستطيع ألف كاتب مهما بلغ من العربية مكانة عالية تجميع الحروف والكلمات لوصف هذا البعض، وإن كنا جميعا نشعر به فستقف اللغة حاجزا بيننا وبين أحاسيسنا أو حتى أحبتنا، فغالبا ما غدرت بنا الحياة بأفعالها، فلا لوم على العربية بما فعله السابقون.

obeikandl.com

فكرة 2

تعلّمت على أن لا أندم على شيء فعلته مهما كانت نتائجه، فكما يقولون"الحياة مغامرة أو لا شيء" وأفعالي لا تتجاوز ذلك الحد الكبير من المغامرة، إنما هي واجبات كان عليها أن تكون في وقتها ولم أسمح لأي شيء من منعي تذوق لذة المحاولة التي لم أتوقف عنها يوما دون أن أنكر أنها أوقعتني أحيانا ببعض المتاعب، لكن كان لا بد من حدوثها متتالية لتشكل ذكريات حُلوة مهما كان طعمها ، فهي الآن عندي تمثل لذة الحياة.

obeikandi.com

فكرة 3

بينما أنت الآن تقرأ سطوري أتمنى أن لو خطر ببالك وأنت تركض هربا من أحدهم يوما، أو ربما ركضت نحو أحدهم تطلب عونه، وربما لتخبره شيئا كان حينها أهم خبر في حياتك البريئة الممتلئة بالسعادة ولم تشأ أن يتذوق طعم انتصار إيصال ذاك الخبر لمن يهتم بأمرك، فركضت وركضت,,,وعلمت بعد ذلك أن الذي اتجهت إليه جعل تلك الذكرى منقوشة في قلبك، لأدركت أنه استحق عناء ذلك الركض ويستحق الآن أكثر من ذلك بكثير.

obeikandl.com

فكرة 4

منذ أن خُلقنا ونحن في صراع، صراع الأب مع ابنه، صراع القائد مع الجنود، صراعي مع منافساتي في الصفوف الابتدائية، ولا أدري لِمَ عليّ تذكر هذا الآن؟ لكنه شيءٌ جميلٌ بلا شك شعورك وكأن لا أحد يشبهك، وكأن الحياة وجدت لتكون لك بكل ما فيها، وكأن الروح لا تهاب حَرّا ولا بردا؛ لتطير محلقة بأحلامنا وأمانينا فترجع الروح تارة بما حلمنا به وتارة أخرى تضل طريقها أو يصفعها البرد، فتسقط الأحلام حلما وراء آخر، حتى إذا وصلت الروح مقصدها صباحا لم تملك سوى نفسها دون أن تكترث بما فقدته، فالمهم بالنسبة لها أنها حافظت على نفسها ورجعت إلى مقصدها؛ ليتحدّون مرة أخرى فليت الناس يحلمون ويحلمون ويحلقون، وعلى الأحلام أن تعلم أنها مجبرة بأن تخضع لنا، لهدفنا مهما طال الانتظار ولو فقدناها مرة أخرى تلو الأخرى، فمع كل فقدٍ يبزغ حلم صغير بريء يكبر شيئا فشيئا حتى يطير، فيُقتل في الطريق أو يصل أهله، فيُفرحهم ويروي عطش الانتظار.

فكرة 5

أكتب ما أكتبه وأنا أتمنى معرفتكم جميعا وإلقاء التحية عليكم، فأنا من الصنف الذي يُحيِّي الآخرين بابتسامة صادقة في أول لقاء، وأترك مصير تلك الابتسامة لمن اتجهت إليه، فمن قابلها بقلب طاهر ملك تلك الابتسامة للأبد، وفي حال مقابلتها بشيء آخر فكأنني لم أعرفه، ولن أندم أبدا على تلك الابتسامة التي لن تشيخ يوما.

obeikandl.com

فكرة 6

لم أتخيل يوما أنني سأملك من الكلمات ما أقدمه لكم -وإن كان لا يليق بمقامكم- إلا أنه بداية جيدة في نظري، وأتمنى أن تتقبلوه بسعة صدر، كما أكتب لكم الآن بفرحة غامرة رغم ما يدور حولي من ضجيج وصخب.

obeikandl.com

فكرة 7

اغتنم كل لحظة من حياتك في صنع سعادة تشاركها مَن تحب مِن أهلك وأصدقائك، وإياك أن تحصر سعادتك في أحد ظننت يوما أنك تملكه وتحبه وتتمناه صيف شتاء، ودعوت الله أن يجمعك به وظننت أشياء أخرى.لا تنس أن الله لا يحرم عنك شيئا إلا لخير قادم لك في مكان وزمان آخريْن، ولا تنس أبدا أن لا أحد على وجه هذه الكرة الأرضية يستحق محاولة إرضائك له سوى أبيك وأمك وأنت بعدهما. لا تنس مطلقا أن من يريدك يدعو لك وأنت حاضر، أو أنت غائب، أو أينما كنت. إياك أن تظلم قلبك بحب من لا تملك. الكثيرون بانتظارك وهم هنا لأجلك. ألا يكفيك أن الله منَّ عليك بمحبته ومحبة خلقه؟ ألا يكفيك قلب طاهر يدعو لك أكثر من نفسه؟ أم أن النزعة الحيوانية في حب المزيد لن نتخلص منها حتى آخر نفس بشريّ على هذه المجرة؟

ها هو عقلك الباطني يوسوس لك هامسا: "أبهذه السهولة؟". لا، ولن تكون سهلة أبدا حتى ترتطم بجدار قاس جدا، حتى تستيقظ من غفلتك وتدرك أنك مارست حلما طويلا كله جمال وسعادة. لكنك وقت الارتطام ستواجه واقعك، فالأحلام لم تُخلق إلا لتكون هروبا وملجأ من واقعنا فنحقق منها ما نستطيع. أمّا الأحلام المتعلقة بالقلب فلن تأخذك إلا لجحيم إن أطلقت لها العنان، لكنني متأكدة أنك أقوى من أن تدع أحلامك التي هي صنع نفسك لتأخذك وترمي بك في واد سحيق.

فكرة 8

معظم المخلوقات الإنسانية التي عاشت عقدين أو أكثر مرت بفترة أطلق عليها الآن "فترة حكم القلب"، فمنهم من نجا من هذه الأيام أو حتى السنين، وهي الآن لا تتجاوز سوى ذكريات جميلة رغم ما كان فيها، ومنهم من بقي معلقا في سنين الماضي، وأكثرهم ضعفا من طالت عليه تلك الفترة فلم تكتف بأن تكون ماضيه بل هي حتى الآن حاضره وأخشى أن يكون قد بنى عليها مستقبله كله فضاع ضياع الماضي والحاضر، ولا أحد يعلم ما الذي يخبئه القادم لنا.

obeikandi.com

تابع لفكرة سابقة

قرأت عددا لا بأس به من الروايات، كل منها يبدأ وينتهي لنصل إلى قصة نعيشها مرة وربما أكثر، ويعتمد عدد المرات على المرات التي قرأنا بها تلك الرواية، وعلى ذاكرتنا إن كانت قوية أن تجلب لنا بعضا من مشاهد الروايات التي قراناها أو شاهدناها على محطات التلفاز أو سمعناها مُجبرين في السيارات لتكون جزءا من حياتنا. لا تلوموني إن لم تحصلوا على قصة ببداية وحبكة ونهاية لا أدري إن كنتم ترغبون أن تكون نهايتها سعيدة أم حزينة، فكما أخبرتكم سابقا أنني اكتب لأول مرة دون أن أضع كلماتي في خانة معينة لتشكل قصة أو عظة أو شيئا آخر. أكتب ما يخطر ببالي دون ترتيبات مسبقة ; فها هي الكلمات تلحق بعضها البعض خوفا من أن تضلّ طريقها. أرجو أن تلتمسوا لي عذرا إن لم تحصلوا على ما أردتموه عند شرائكم هذه الصفحات. -فأنا أحدّثُ نفسي الآن- ألا يكفكم أنني منحتكم ثقتي الكاملة بمشاركتي إياكم ما أفكر به ولم أمتنع لحظة عن فكرة أو كلمة أو أي شيء يخرج من ذاك القلب الذي يوصف بأنه أحاسيس أو مشاعر أو أيّ ما كان أو سيكون؟.

فكرة 9

ها هو صوت أحدهم يتعالى من إحدى قنوات التلفاز قائلا: "ما تنسى حالك يا إنسان إنك مخلوق من مي وطين". وأنا بدوري لا أدري ما جدوى ذكر هذه الكلمات الآن، لكنّ قلمي يجبرني أن أكتب دون تفكير ولا أعلم حتى الآن فيما لو أراجع ما كتبته قبل نشره فأحذف شيئا مما كتب أم أُبقيه على حاله كما وُلد للوهلة الأولى. فالمواليد الصغار كما تعلمون هم الأطهر والأكثر حبا في هذا العالم، حتى إذا كبروا شيئا فشيئاً وزاد وعيهم وتفتحت مداركهم حول ما يفعلون تخللت صفات الحذر والحيطة والترقب والانتظار أفكارهم. وبالرغم من أن تلك الصفات لا نحب الانتماء إليها لكننا لا نستطيع إلا وأن نقع في وكرها، فكل واحد منا ينتظر شيئا يجهله لكننا ندعو الله أن يكون أفضل من واقعنا، وكل واحد منا يترقب شخصا بكلامه أو نظراته أو حتى موضع ساعته، إن كانت بيده اليمنى أم اليسرى، فنحاول بدون وعي تقليد فعل أو استعارة كلمة أو تملّك فكرة من أفكاره وإن كنا غير موافقين عليها، وفيما مضى كنت أود القول بأن لو وصلتكم الكلمات هذه فاعلموا أنني لم أحذف شيئا مما كتبته في أول مرة. وأتساءل: أفمن الغباء في هذا التقليد والاستعارة أم هو الحياء أم الحب أم النقص أم أشياء كثيرة اختلطت ببعضها لتزعزع قلبا وترعبه حينا وتفرحه أحيانا وتبكيه مرة ثالثة؟.

فكرة 10+11

بينما كنت أتصفح موقعي على الفيسبوك، فإذا بإحدى صديقاتي تُعلِّق على منشور لي كان نصه: "وإنني أتساءل مع كل هطول، أيشعر الجنس الآخر المتظاهر بالقوة والحزم بما نشعر به نحن الإناث مع بداية كل شتاء؟ أتغمر السعادة قلوبهم وهم يراقبون من خلف النافذة _ إن هم راقبوا أصلا_؟ أينتظرون الشتاء لينثروا أمانيهم في السماء السخية؟ أيحرصون على تذكر من يحبون ويدعون لهم كما نفعل نحن الإناث أم أن هذا الفصل الذي ينكمش عاما بعد آخر وُجد ليواسي ضعفنا نحن فقط؟ فعلّقت صديقتي قائلة: "أنتِ تستحقين ذلك الوسام الذي يُمنح في مهرجانات عالمية لتكريم المبدعين والكتّاب". وأنا نفسي أعلم أنني لم أصل لهذه المرحلة التي وصفتني بها وربما في نظركم لن أصل مطلقا، لكنّ كلمات زميلتي هذه كفيلة بأن تحقن دمي ذاك المقدار من هرمون السعادة الذي يملكني حتى اللحظة، علما بأنني

وأنا أكتب الآن أنتظر قدوم منخفض جوي بعد يومين من كتاباتي لهذه السطور، وبما أنني أعيش الشتاء فأنا في أفضل حالاتي في السنة. لا أدري إن وجد الشتاء كما وجد الصيف والربيع والخريف، أم أن له غاية منا فيُفرح بعضنا ويقلّب مواجعنا، فمهما كانت غايته فهو الأفضل بالنسبة لي، فهو الأكثر دفئا وعطاء فلا شيء غيره يأتي بمثل هذه السماء الملبدة بالغيوم التي تحمل معها تلك الروح التي تحلّق بأحلامنا.

obeikandl.com

فكرة 12

يتوقف القلم دقائق ويعاود من جديد، لا أدري إن كان توقفه استراحة أم تجديد طاقة أم مراجعة ما مضى. لكن المهم أن يبقى حيا كتلك الأحلام المعلّقة، أن يبقى كروحك الطيبة، أن يبقى حيا كأنت الآن، كأنت غدا، كأنت حتى بعد موتك؛ فالموت وإن لم أجربه إلا أنني متيقنة بأنه لا يستطيع إلا أن يسرق الجسد، أما الروح فتبقى محفوظة ليوم اللقاء، فاترك ما يستحق ذكره بعد هلاك ذاك الجسد، واعلم أن ما تفعله لنيل رضا جسدك المتهرئ زائل، وما تفعله لنيل رضا روحك الطيبة هو حاصل الآن وغدا ودائما.

obeikandl.com

فكرة 13

كم أهوى نفسي وأنا أتذكر القرآن مع كل سطر أكتبه، كم أصبح هذا القلم يفهم ما أفكر به دون الحاجة لإرشاده الطريق، كم أدعو الله أن يكون القرآن خُلُقي ونوري في حياتي وقبري وعوناً لي يوم لا عون إلا أعمالنا بعد عونه تعالى.

obeikandl.com

فكرة 14

ربما أنت تتساءل -كما هو حالي الآن- "لم هذا؟" لمَ أكتب فقرات نجدها سويا مبعثرة؟ مبعثرة عندما أقرأها، فقراءة مفردات ليس ككتابتها، فعندما تقرأ شيئا وإن كنت كاتبه ستشعر بأنه ليس لك، ستشعر بأنه أمر جديد ترغب في تصفحه. أتخيل البعض وهو يحاول طرح بعض أسئلته عليّ، وإحدى الأسئلة ربما: "وكيف علمتِ هذا وأنت تدعين أنك لم تراجعي ما كُتب حتى الآن؟".أما الجواب فهو أنني لم أكن إلا صادقة بكل كلمة وما ادّعيتُه من شعور عند قراءتك لشيء أنت كاتبه، فهو ناتج عن قراءاتي لسطوري في بداية مشوار هذا القلم، التي لم يمر على بدايتها أكثر من بداية هذا الفصل العطر، وهو فصل الشتاء.

فكرة 15

أنا الآن في سنتي الدراسية الرابعة، وبعد يومين تنتظرني امتحانات لم أحضّر لها كما ينبغي. لا أدري لِمَ كل هذا الشغف الذي يجذب قلمي ليتخذ من ورقات هذا الكتاب بيتا بدلا من أن يكون بين ورقات الدراسة، وأنا أعلم أن معظمنا يتفق على أن وقت الدراسة قد تجذبك أشياء كثيرة إلا الدراسة، لكنني وبرغم كل ما يدور حولي من جذب ونفور إلا أنني لم أجد سوى سطوري وقلمي يجذبانني إليكم أو إلى نفسي ربما، فأنا حتى الآن لست متأكدة إن كانت ستصل تلك الكلمات أم أنها ستبقى محصورة بين جدران غرفتي، وبالرغم من هذا كله فأنا أكتب على فرضيّة أنكم بانتظار قراءة كلماتي.

obeikandl.com

هاجس من الخوف ليس أكثر

بين الفقرة السابقة وهذه قمت بتصفح حسابي لأشارك سعادتي في إنجاز كتابة هذا العدد من الصفحات دفعة واحدة، فلم يسبق لي أن أكتب بهذا الشكل المتتالي وبِنَهَم، لكنني تراجعت عن تلك المشاركة مع أنني دون مبالغة أهوى مشاركة كل ما يفرحني مع من أظن أنهم سيفرحون لفرحي، لكنني بالرغم من القوة التي أملكها فإنني لم أستطع قتل ذلك الخوف الذي يوسوس لي بأنني لن أستطيع نشر تلك الصفحات وإيصالها لكم.

obeikandl.com

دعاء

"وفّقك الله وأسعدك أينما كنت وأحبّك وكان معك".

- عذرا لإضاعة وقتكم بقراءة كل ما يخطر ببالي، لكنني لا أدري لِمَ تذكرت أحدهم الآن ودعوت له ما أدعو له دائما. ربما في هذا منح وقت لكم بأن تدعو أنتم أيضا لمن تحبون وإن لم يكن لديكم رغبة بذلك فأضعف الحب قراءتكم دعائي دون أن تقصدوا أحدهم، وأقواه درجة بأن تعودوا لبداية الفقرة تتلون الدعاء و"أحدهم" أصبح مقصودا,,,أعلم أن طعم الدعاء الآن مختلف تماما تماما.

obeikandl.com

فكرة 16

منذ فترة والفيسبوك أكثر وسيلة متفق عليها -على الأقل بيني وبين من أعرفهم- بأنه الوسيلة الأكثر سلامة في مشاركة الأفكار والأفراح والأحزان والأكلات والمشاوير وكل تفاصيل حياتنا، ولعلك تدرك يا عزيزي، ويا عزيزتي، ما أقوله إن كنت صاحب أحد الحسابات على هذا الموقع الذي أمسى أكبر من مجرتنا بحد ذاتها، لا أدري ما هو سر إعجابي بصفحة معينة كل فترة دون غيرها، وكما أن السنة مقسمة لفصول وأجملها الشتاء، فكذلك الصفحات هي الأخرى مقسمة أيضا وأكثرها جمالا ما كان إعجابي بها متزامنا مع فصل البركة والخير والسخاء.

emelkandil.com

أفكار كثيرة تدور وتدور دون أن أصل لنهايتها ودون أن تسمح فكرة لأختها أو منافستها بالبقاء أكثر من الوقت المخصص لها؛ ربما خوفا عليّ من المتابعة في فكرة معينة فتأخذني وإياكم إلى حيث ما أريد أو لا أريد، ولعلّ ذلك العداء الذي خُلق منذ زمن نُقل بالعدوى إلى أفكارنا فلم تعد ترغب فكرة بأن تسبقها أخرى، فتفوز عليها وتصبح واقعا. أم أنه ربما أمر لا يتجاوز عقلي المشوش في وقت ذروته من هذه السنين، سنين الشباب إن شئتم أو سنين حكم القلب.

obeikandl.com

فكرة 17

ولأن روحك طيبة، فلن تلتفت لحقد يخبئ نفسه بين كلماتهم، لن تلتفت للخبث الذي ينجَّس قلوبهم؛ لأنك طيب وتظن أن كل من على الأرض بطيبتك يتمنون لك السعادة كما تفعل، ولأنك طيب تظنهم يقرؤون ما تقرأ "وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟" فلقاؤك بالطيبين أمثالك هو جزاء إحسانك، وابتسامة أمك التي تهبك الصباح هي جزاء إحسان ابتسامتك التي وهبتها البارحة لعابر سبيل، فكل شيء على هذه الأرض مرهون بميزان، فإياك أن تخلّ يوما بهذا الميزان وتجعل كفة خبثهم وحقدهم تعلو كفة إحسانك وطيبتك.

cpeikyal.com

لا أدري لِمَ أشعر أنه يتوجب عليّ إخباركم أنني لن أسمح لأحد بقراءة هذه السطور وما فيها من أفكار ومشاعر قبل أن أعرضها على إحدى صديقاتي التي تحبني أكثر من نفسها، صديقتي، أنت الآن تقرئين لتأتي بعد يوم أو اثنين لتخبريني أشياء ربما أعلمها لكنني لن أُفسد على نفسي متعة سماعها منكِ، كأنني أعلم بها للمرة الأولى، أعود وأتساءل لِمَ عليّ أن أخبركم بهذا كله؟ ولِمَ أنا واثقة بكم إلى هذا الحد؟

obeikandl.com

ذكريات قادمة

كنت قد نشرت على حسابي عبارة هذا نصُّها: "يوما ما,ربما بعد سنة أو عشر سنين سيكون على هذه الكرة الأرضية رواية أو أكثر باسمي" وها أنا بكامل طاقتي وأملي وحبي للحياة أجعل من هدفي حقيقة مع محاولة تجاهل تلك الخيبات إن لم تصل كلماتي لمسامعكم، لكنني وكما عودت نفسي على أن لا أندم على أي شيء مضى ومهما كان، فلا بد من حدوث كل شيء حصل وسيحصل. فبعد سنين سأجد نفسي أقرأ ما أكتبه الآن، فتكون كتاباتي ضمن الذكريات المصنفة بأنها الأجمل. فالذكريات كفيلة بتلك الابتسامة قصيرة المدى التي تمنحها لنفسك كلما تذكرت ماضيك الجميل، والحاضر كفيل بتلك الابتسامة التي يعتمد مقدار ديمومتها على اختلاط مقدار كبير من إرادتك في الوصول إلى مبتغاك مع مقدار لا بأس به من الحظ الذي لا أدري إن كان حليفنا يوما ما أم لا، ومهما كانت النتائج فلا ننس أن خالق الكون متعهد بشئون خلقه.

obeikandl.com

بدايات

يا إلهي! كم من حدث وثّقته حتى الآن في هذه الورقات، شعور غريب يندرج تحت القائمة التي لا أستطيع وصفها، ربما السبب لأن هذا الشعور يراودني للمرة الأولى؛ فالبدايات تملك دائما ذاك الجزء من القلب المتخصص في ضخ الأحاسيس الأجمل والأبرأ، والتي لا تُنسى أبدا، شعور غريب حينما أدرك أنني أملك الحياة هذه كلها التي لم أشعر بعظمتها إلا الآن، وأنا أُسطِّرها يوما بعد آخر.

أحياتنا طويلة ومملّة للحد الذي كنت أدعيه والذي ربما سأشعر به مجددا غدا أو بعد غد، أم أن كل يوم فيها وُجد ليكمل مشهدا لا معنى لحياتنا بدونه؟

obeikandl.com

فكرة 18

كم هي مليئة حياتنا بالفرح، فبمجرد تذكر شقاوتك الطاهرة، وبمجرد دعائنا لبعضنا سرا وعلانية، وبمجرد لقائنا وجهاً صدفة ، ونتمنى عودته مرة أخرى، وبمجرد لقائنا في اجتماع كبير أو في حفل دُعيت إليه، أو بمجرد تدفئة يديك بكوب ساخن في هذا الجو الذي لا أملك كلمات أجمل منه لأصفه لك، وبمجرد كل حدث بسيط في حياتك توقنُ في كل ذلك أنك لا تستطيع عدّ نعم الله عليك، فكيف تشكره على ما لا تستطيع عدّه وحصره من نِعَم؟

obeikandl.com

عمر

منذ أيام ملكتني الجرأة لدقيقة لأنشر على حسابي هذه السطور: "وكم أمست تلك الرغبة تتكرر بأن أكون سببا في تربية أحدهم ليشبه ذلك ال (عمر) الرجل القوي الصلب القائم بذاته وبأمته والملبي نداء ربه لينصر أمة شامخة عزيزة، ذاك الرجل الذي لا أملُّ من التعرف على أقواله وأفعاله وسيرته، تلك الأمنية الصغيرة بتربية أحدهم على أخلاق عمر ورجولة عمر وأفعال عمر، تلك الأمنية التي أدعو الله أن يحققها بكل ما فيها من تفاصيل وأن لا تقتصر على ذاك الاسم" لكن خوف مراقبة بعضهم تملكتني فحذفت ما نشرته فورا، وها أنا أشكر الله الذي منحني القوة والجرأة مجددا بأن أنشره ضمن صفحات الكتاب هذه وأدعو أن تدوم تلك القوة في وقت يتيح لي أن أقرأ هذه السطور مرة أخرى قبل نشرها وأصر على بقائها، فإن قرأتموه فاعلموا أن الله استجاب دعواتي.

فكرة 19

وإياك أن تكترث لأقوالهم ونظراتهم، وإياك أن تنتظر مدحا أو ذما من غيرك. افعل ما تراه مناسبا لأخلاقك وثقة أهلك بك ونعم الله عليك، ولا تنتظر تقييما من أي كائن على هذه الكرة الأرضية، فإنني أخشى عليك أن تصبح رهينة أحدهم وعصاه التي تضرب في الأرض. افعل ما يحلو لك دون تأنيب ضمير ما دمت لم تنسَ خالقك وأهلك ونفسك.

وإياك أن تجعل سعادتك معلقة على رؤية أحدهم أو مرور أحدهم أو تصرف أحدهم ف"أحدهم" الذي عاقبت ابتسامتك وجعلت توقيتها متوقفا عليه لا يستحق ذاك المقدار من الشيء الذي تفعله ولا أستطيع وصفه إن كان حبا أو احتراما أو تعلّقا، ولو أنه استحق بعضا من سعادتك لما كافأها بانتظارك، ولو أنه يستحق لجعل سعادتك لا توقيت لها ولا حساب.

وإياك أيضا أن تحرم الفكرة الأولى من الولادة، وإياك أن تخشى الخوف والعقاب فتحرم نفسك حياة تمنيتها؛ فالفكرة الأولى كما قرأت مرة وجربت مرات عديدة هي الأقرب إلى طبيعتنا وهي التي نريد دوما، فإن كنت تدرس فتمسك بالجواب الأول عند تأديتك امتحانك، وإن كنت أول مولود لأهلك فستشعر كما أشعر بالعظمة، كونك تملك هذا المكان، فالشيء الأول هو الأجمل دائما وأبدا، فلا تحرم نفسك متعة البدايات ولا تستبق الأمور، فكل شيء له مكانه وزمانه، فلا تقتل الأزمنة ظنا منك أن القادم أفضل. كل ما عليك فعله هو أن تعيش كل لحظة وكل مكان وكل شخص وكل فكرة.

نابع لفكرة 19

لعلّك تتساءل عن آخر كلمات في الفقرة السابقة وكيف لنا أن نعيش أشخاصا وكيف لنا أن نعيش أفكارا، تأمل حياتك جيدا وستدرك أنك تعيش مع أشخاص تحبهم، تُؤْثرهم على نفسك، تدعو لهم في صلاتك، تختلق الصدف للقائهم، تنتظر ابتسامتهم، تحاول صنع المفاجآت لهم، حتى لو كنت لا تفعل ذلك فيكفي التفكير بهم لتحلو الحياة؛ فحياتك ينقصها شيء من السعادة دونهم أو دون سعادتهم. أما عن عيش الأفكار؛ فإن كنت ممن آمنوا بأن الحياة مغامرة أو لا شيء فلا بد بأنك أدركت ما قصدته. أما إن كنت تعيش على مبدأ «عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة» فإنني أطالبك بأن تتهور قليلا لتعيش متعة لحظات أفكارك، وإن كانت نتيجة تلك الأفكار لا ترضيك فيكفيك أنك أفرغت حاجتك في معرفة ماذا سيحدث ولم تجعل فكرتك حبيسة مخيلتك، بل أطلقت عنانها فشاركتك واقعها.

فكرة 20

تذكر دائما أن القوانين وضعت لتخالفها النفس البشرية، أقصد قوانين العيْب والعادات والتقاليد الجاهلة الظالمة لحقنا في ممارسة الحياة، ألم تفكِّر يوما من أين أتت هذه العادات، ألم تكن وليدة فكرة أحدهم الذي لم يتوانَ لحظة عن تطبيقها، فأصبحت عُرفا طال زمانه وزمان من تبعوه؟ ألا يكفها كل هذه السنين التي التهمتها بما فيها من أحلام وأمنيات؟ ألا تعتقد نفسك مسئولا عن نفسك وأهلك فتكسر عجزك أمام تلك القيود التي حطمت الكثير منا أو تتشجع فتكسر طوقها؟ كم أكره العادات وكم أكره من يطبقونها وهم أشد الناس علما بأنها أم الخطأ وبنت الخطايا، لِمَ لا نرجع إلى ديننا، فنطبق كل ما فيه دون الحاجة لأفكار أقوام أكل الدهر عليها وشرب وما زالت أفكارهم تحاصرنا وتنخر أحلامنا؟ لعلّك فهمت الآن ما عليك تركه في حياة أبنائك وأحفادك بعد موتك.

لا بدّ بشيء من الخيبات لإرجاعي إلى الأرض، لم أعد أهوى فكرة أن الأرض هي مسكننا، فأحلامي عودتني أن تكون السماء هي مستقري ومكاني.

obeikandl.com

فكرة 21

"الانتظار" كلمة يعاديها كل من عاشها وربما كل من يسمع بها، أن تنتظر حدوث شيء يرفعك قمما أو يهوي بك وديانا، أن تنتظر آذان المغرب وأنت صغير لتفطر أول رمضان الذي حظيت بصومه، أن تنتظر مجيء أول يوم تذهب فيه إلى المدرسة أثناء إجازتك، أن تنتظر زيارة أحدهم، أن تنتظر نجاح عملية أحد أقربائك، أن تنتظر اسمك يضيء جرائد نتائج الثانوية، أن تنتظر الموافقة على وظيفة تقدَّمت لها، أن تنتظر مولودا لم تعرف بعد إن كان ذكرا أم أنثى، وأشياء كثيرة... استهلكت الكثير من الوقت لتأتي وإن كان هذا الوقت الآن هو أتفه من أن يذكر، لكنه كان فترة زمنية طويلة جدا، وبالرغم من كل هذا الانتظار فسأقول: "أن تنتظر خير من أن تفجعك الأمور التي كنت بانتظارها وتفاجئك بالأسوأ" فكِّر معي مليّا لنرى تقلبات الدهر وغدره، ونهايات لم نكن نتوقع حصولها أو لم نكن ننتظرها، كأن تنتظر حدوث شيء تأملت بأن سيرفعك قمما إلا أنه أتى فخسف بك الأرض، تنتظر أول يوم تذهب به إلى المدرسة إلا أن أمك مرضت فلم تستطع تجهيز طعامك صباحا، تنتظر زيارة أحدهم إلا أنه لم يأت لسبب لا أفضِّل ذكره وأتركه لمخيلتك، تنتظر نجاح عملية أحدهم فإذا بالطبيب يخرج متأسفا، وتنتظر وتنتظر. ألا تظن أنك لو انتظرت أعواما مضاعفة خير لك من سماع ما لم تنتظره؟.

فكرة22+23

لا أدري لِمَ لاحظت في هذا اليوم تحديدا أن الكتابة ملتصقة بالسعادة؟ فأنا الآن أملك مقادير مضاعفة من السعادة تغمر من في الأرض، وأنا أكتب وأكتب دون ملل أو كلل أو حتى تفكير بما يمكن كتابته بعد قليل، لعلّك لاحظت عندما كنت سعيدا يوما ما -واسمح لي أن أدعو الله أن تكون سعيدا الآن وكل وقت- بأن مئة فكرة تدور في رأسك وتظن أنك ستنقذ العالم من الفقر والظلم والمجازر إن ملكت السلطة، ولكن في أول لحظة يتلاشى فيها هرمون السعادة بداخلك ترجع خيبة الأمل لتزرع نفسها من جديد بين يديك وقدميك وأفكارك وأيامك وكل شيء فيك، يرجع ذاك الجو الصامت الكئيب الذي يشبه بيت عزاء فقد أغلى ما فيه، ومع ذلك كله ستعلم أن الله معك، وأن مع العسر يسرا.

ولو أنك ترجع قليلا لنتأمل قوله تعالى: "إن مع العسر يسرا" لتجد رحمة الله بنا وعونه لنا، فلم يقل "إن بعد العسر يسرا" فتظن أن خروجك من عسر يمر بك سيكون طويلا، وإنما من كان مع الله سيعلم أن الله سيقويه ويعده بالتزام الفرج مع كل ضائقة تلُّم به، لا تنسَ أبدا أن خالق الكون متكفل بخلقه فاطمئن، ولو عرفنا الله حق المعرفة لما

خطر على بال أيّ منا الانتحار والتخلص من حياة لا حق لنا بإنهائها ولا قدرة، ففي أوج محنتك تعلم وتتيقن أن الخير آت من حيث لا تدري.

ولقد كنت قد أخبرتكم سابقا بأنني حاولت مشاركة سعادتي بكتابة الورقات السابقة، لكن شيئاً من الخوف منعني فلم أشارك سوى صديقتين اثنتين هما أغلى ما عندي في الوجود، وأشكر الله على وجودهما في حياتي -وأنا أتكلم معهنّ ضحكنا كثيرا كعادتنا- وها هما يقرأان ويبتسمان ويحاولان تذكر ما قيل في تلك الليلة، وسأظل أطلب مسامحتهما بضياع الكثير من السطور من أفكار كانت قد لَمَحتها بنات فكري ولا أدرِ لِمَ أكتبها أو أُسطِّرها، لكنني أظن أنكم بدأتم بالتأقلم مع حروفي، فلم يعد الاستغراب يقضّ مضاجعي كما كان، فالأمور دائما تبدأ عظيمة وغريبة ثم ترجع للإطار المتعارف عليه لتكون مألوفة متوقعة، وهذا ما أخشاه دوما بأن تصبح أفعالي وأقوالي متوقعة قبل أن أقوم بها، فيحاسبني الآخرون على ما يعتقدون لا ما عليّ من واجب القيام به، بالرغم من أنني لا أرصد حيزا كبيرا لتلك الآراء المسبّقة إلا أن تصرفات البعض وأحكامهم تضيِّق عليك بعض سعادتك.

تابع لفكرة سابقة

كان علي أن أتذوق الصبر بجرعات طويلة الأمد لئلا أقع فيما خشيته يوما، وكان علي أن أكتم دمعا وألما خشية على أبي الذي لا يقبل إلا أن يشاطرني ألمي ليخفف عني كربتي، كان عليّ التخلي عمّا أردته يوما، بسب عادات وتقاليد مجحفة بحقي، مستنزفة دمعي، محطمة هدفاً أمسى قريبا قبل أن تعلن تلك الأفواه حكمها في شنق هذا الحلم وقتل ذلك الهدف، وأنا لا أدري ما أسميه، منكرة تلك العادات التي حكمت على روحي بالشنق على مراحل، وجرعات لم ينته موعد انتهائها بعد.

obeikandl.com

مطر

"في أعماقنا ركن لا يتوقف فيه المطر" بالرغم من اللحظات القليلة التي مرت على قراءتي لهذه العبارة إلا أنني أحببت كل ما فيها من حروف مركبة متناسقة كباقة ورد جوري في صباح نديّ تنتظرك لتفتح بابك، فتلقاك فتعطّر يومك كله. أنحبّ المطر للعبارات التي ألفتها مسامعنا مترنمة به، أم للدفء الذي نقلته تجارب غيرنا لنا,أم لصدقنا ونحن نزعم بأن هذا الفصل خُصص للعطاء والمحبة والدفء لقلوبنا، أم لماذا؟

لا لغة كالعربية، ولا موسيقى كالشرقية،
تملك حق وصف شعورنا كما يليق به أن يكون

openkandl.com

حبيبي أبي، لم أكتب عنك حتى الآن وأنت الوحيد الذي خططت له بأن يكون مسك الختام لما أكتب، لكنّ قلمي أصبح يشابه قلبي فلم يعد يطيق الانتظار ليذكرك كنهاية جميلة تزين لي كتابي من غلافه وحتى آخر نقطة أخطّها فيه، أعلمُ يا مسك حياتي، أنك تدعو لي ليل نهار، وأنا أعلم أنك تفخر بي، فأنا ابنتك البكر التي رهنْت حياتك لإسعادها، وأرجو أن تعلم أيضا أنني لا أستطيع البدء دونك ولم يمضِ ما مضى إلا بوجودك،أعلم أنني أحزنتك أياما وليال متتالية، لكنك تعلم أيضا أنني لم أقصد هذا أبدا، فلا أجد لي في هذه الحياة من أستطيع مضايقته بآلامي غيرك، يا سيد الرجال، ويا معلمي القرآن والأخلاق، يا عزتي وقوتي وحبي، أنت الأب الذي كنت سأتمناه لو لم أكن ابنتك، أنت الذي تشعرني دوما بأن الله يحبُّني كثيرا فاصطفاني لأكون ابنتك، ابنة "صبحي" الذي أدعو الله أن لا يفرقني عنه أبدا، وألّا يجعلني سببا في خذلانك او حزنك، وإنني مهما اعتذرت لك فلن أرد حق ابتسامتك التي تضيء دربي، وإني سأبقى مقصراً مهما شكرت الله للنعمة التي أكرمني

إياها، فجعلك مصدر قوتي وشرفي وفخري في هذه الحياة. أدامك الله يا سيد الرجال، وحفظك من كل مكروه، وحشرني وإياك وأهلنا في عليين، وجعلني من ذريتك الصالحة التي تفخر بها أينما حللت، ولا أبعدني عن قلبك يوما.

الساعة الآن الحادية عشرة من مساء يوم لم أعد تذكُّر تفاصيله، أشعر بأن الساعات التي أمضيتها في كتابة ما مضى وكأنني أمضيت عمرا يفوق عمري، لم أكن أتخيل أن حياتي قائمة على ما أشارككم به الآن، كم هي جميلة حقا عندما نجمعها يوما بعد يوم، وسنة تلو سنة، وقرارا يلحقه قرار، لا بأس إن تركت القراءة قليلا لتستجمع بعض أيام حياتك.

obeikandl.com

كبقية كل الأطفال كنت أحلم بان أكون طبيبة، وكبقية كل الأهل فقد كان أهلي يرسمون حلمهم بابنتهم الأولى، ذلك الحلم الذي تبيَّن مؤخرا أنه سيبقى حلما غير قابل للتنفيذ، مرت سنون لا أرغب بتذكُّر تفاصيلها إلا أنني الآن بكلية الهندسة التي أجهل كيفية التحاقي بها حتى اللحظة. وبالرغم من هذا كله إلا أنني سعيدة وراضية عن نفسي ومنسجمة مع واقعي، سعيدة بكل يوم عشته في كل مكان ومع أشخاص كُثُر، ضمن أفكار مجنونة أحيانا، ومخطط لها أحيانا أخرى.

obeikandl.com

بينما أنشر الفقرات القصيرة على حسابي منذ أيام وأنا أتلقى تعليقات ما أجملها والسعادة تغمرني، بيد أنني استغربت من قولِكِ: "السعادة مرهونة لديك بالحزن"، لا أدري كيف أدركتِ هذا الكلام، لكنني الآن وكما وعدتكِ سابقا سأثبت لك الأمر المخالف لقولك، فسعادتي يا ولاء، هذا الفصل لا تفوقها سعادة الفصول الأخرى، ربما سعادتي مرهونة بالمطر أو الأفضل بأن أقول أن هرمون السعادة ينشط أكثر في هذا الفصل، فصل الغيث مقارنة مع نشاطه بقية فصول السنة، لكنه دائما موجود، وعلى استعداد أن أبثّ السعادة ليتضوّع عطرها فيشتمها مَن حولي، ولكن كما الحب مضاعف في الشتاء كذلك فالسعادة وما فيها من دفء مضاعفة أيضا هي الأخرى معه، فهي صنوه ورديفه، ربما كان عليكِ قول: "السعادة مرهونة بالحب والدفء"

obeikandl.com

فكرة 24

لملِم أسرارك ودفاترك القديمة، لَمْلِم حجرات قلبك الأربع المتفرغة لانتظار مرور أحدهم على حافة طريق لم يجد سوى الدفء ليكون وهماً يغطيه وصدفة تعيد النبض لحجارته، لملم ذكرياتك وبراءة عينيك في صور قديمة وادفنها كومة واحدة تحت فراشك، لعلّه يكون أكثر دفئا في ليلة باردة قاسية وحيدة كيتيم فقد أمه على عجلة دون ترتيبات مسبقة، كوردة قُطِفت عبثاً بيدٍ ملساءَ لتصل قلبا قاسيا يماثل برودة لياليك تلك، كجنود عدو أجبر عربا على نزع ملابسهم الساترة، ككلّ شيء يقسو علينا في هذه الحياة، كالموت الذي يخطفنا دون وداع.

obeikandi.com

فكرة 25

وإياك أن تظن أنّ أحدهم مَلَكَ مفاتيح القوة والسعادة كلها، فمهما ادّعى النّاس بأنهم أقوياء إلا أنّ شيئا بداخل كُلّ منهم يذكره بلحظة معينة كانوا فيها أضعف من الذبابة نفسها، ومهما ادّعوا أنهم سعداء إلا أنّ نصيبهم من الدموع لم ينته أبدا، وهو بانتظار كل منهم حينما يعودون لبيوتهم ويغلقون على نفوسهم بلسم السعادة، ليظهر ضعفهم فيتغلب دمعُهم على أماني سعادتهم، أو يكونوا وحيدين فيتغلب دمعُهم على مواطن قوتهم التي كانت سلاحهم فيسلبون البسمة.

obeikandi.com

فكرة 26

إليكم أيها الذكور، إن كان يعجبكم هذا اللقب فلا داعي لقراءة ما بقي، وإن كانت إحدى أهدافكم في هذه الحياة بأن تكونوا رجالا فلا بدّ من فعل الكثير لتفوزوا بهذا اللقب، أعلم جيدا أنكم لستم بحاجة من يذكركم، لكنني رغم ذلك سأفعل لعلّكم تملّوا ذكورتكم، لعلّكم تعيدوا أمة كأمة عمر ومعاوية ومن اتخذتموه قدوة تنير حاضركم ومستقبلكم، ومن الأشياء الكثيرة التي تنتظركم للفوز باللقب العمل بما يلي: ذكّروا أنفسكم وأصحابكم بالاجتماع على صلاة الفجر بدلا من أن تقضوا لياليكم على ما تقضونه ويغلبكم النعاس مع أول تكبيرة كل صباح، قدِّروا عناء آبائكم لتوفير ما أنتم عليه الآن، قدِّروا اللقمة التي تحرمها أمهاتكم عن أنفسهنّ فتخبئنها لكم، كونوا قدْر الحمل الذي أوكلتموا بحمله، كونوا قدْر الثقة، واتقوا الله في نظركم وكلامكم ونواياكم، وكونوا رجالا يعيدوا للأمة شرفها وكرامتها التي أهدرتموها بتصرفاتكم الذكورية الشائنة.

أحتاج دفئاً ينسيني برد لا مبالاتك

obeikandl.com

فكرة 27

وبحكم أنني أنثى فلا أخفيكم بعدم استطاعتي لأكون محايدة عند الكلام عن الجنسين، لكنني أحاول ذلك دائما وبالرغم من تحيزي لحواء لكنني لا استطيع تخيّل وجود أنثى في العالم قادرة على خيانة ثقة أهلها، كيف تجرؤ صاحبة القلب الطاهر على فعل هذا؟ لا أجرؤ على تخيّل أن هناك أنثى تنافق أو تكذِّب ملامح وجهها. أيعقل هذا يا عزيزتي؟ ألم نتفق يوما على أننا الأمهات اللواتي سينشئن أجيالا كعمر؟ ألم نتفق يوما على أننا النصف الآخر من هذا العالم؟ كيف نستحق هذه المكانة العظيمة ونحن نخون ما خُلقنا من أجله؟ كيف نستحق هذا بينما نقترف الذنوب بحق أنفسنا، بحق أهلينا، بحق خالقنا؟ ألم نقرأ يوما أن الجنة تحت أقدام الأمهات؟ كيف ستكونين أمّاً وتتجرئين على قول ذلك وكل شيء فيك يعلم حينها أنك تستحقين مكانا آخر يبعد عن الجنة أميالا؟.

فكرة تغيير

"كيف حالك؟" جملة قصيرة نسمعها كل يوم تقريبا من أناس يقصدون الاهتمام والاطمئنان عليك وآخرون يقولونها لأنها أصبحت أساسية في قاموس كلماتهم المليء بكلمات باردة لا حاجة لها ولا هدف سوى البوح بها لإكمال روتين أيامهم، يلفظونها دون أن يعوا أثرها الطيب عندما تخرج معطرة من أفواههم محملة بنية صادقة من قلبهم للاطمئنان علينا فعلا. حاول تغيير مفهوم الجملة تلك وقلها غدا وانطقها وأنت راض بفحواها، وأنت تهتم حقا بمخاطبك، وأنت صادق حقا.

obeikandl.com

رقم غريب

وإنك في بعض الأوقات بحاجة رقم غريب تحادثه متى شئت؛ فالأقرباء أحيانا لا تكفينا قلوبهم للمشاعر التي تملأنا أو ربما لا نستطيع كسر الحاجز الذي نهابه دوما بكل من يعرفنا، نحن بحاجة لرقم غريب نبوح له بكل ما فينا، ثم نغلق ذاك الخط القادم من بعيد، وكأن شيئا لم يكن سوى فرحة زائدة كانت تملكنا فشاركناها مع أحدهم أو حزن كبير لم نستطع مواجهته وحدنا فتقاسمناه مع أحدهم، الذي لن يبوح بسرنا، ولن يتذوق لذة الانتصار بألمنا.

obeikandl.com

فكرة 28

في كل ليلة تحاول النسيان، تحاول النوم، تحاول عيش الراحة. اطوِ ما مرّ عليك من ساعات دون تذكر تفاصيلها، اطوِ عقول البشر الذين صادفوك فعكروا صفوَ لحظاتك، اطوِ لَوم الحاسدين الذين ضاقت أعينهم على أمنياتك، على ما لا تملك، على كل شيء أنت صاحبه، اطوِ كل ما يقف حاجزا بينك وبين فراشك، بينك وبين أحلامك، بينك وبين بُكائك. ألقِ همومك في سلة مهملات قبل أن تتخذ من وسادتك بيتا لأحلامك، فالوسادة لم تُصنع لتكون ملجأ دموعك، أعلمُ أن دموعك غالية عليك كما هي غالية عليّ، لكن أحلامنا أغلى من أن تعكرها دموع سقطت على أشياء وأشخاص لم يستحقوا يوما ما أهدرناه لأجلهم. تخلّص من أنفاسك الزائدة المليئة بالغضب، المثقلة بالحزن، المحملة بالهموم التي تخنق ملامح وجهك، تخلص من ثاني أكسيد الكربون الذي يضيق صدرك. تخلص منها جميعا بتنهيدة تُفقدك الضيق. ثم اتخذ من فراشك ملجأ لك ولأحلامك، وإياك أن تُشرك أحدا في هذا الملجأ، هو ملجأ لا يتسع لغيرك، فلكل منا ملجأه الخاص به، ذاك المكان السريّ لأشياء كثيرة، فلا تُسرف هذه المساحة الثمينة في تخزين دموعك بل اجعلها مخدعا لأحلامك التي تستحقها أنت، ملجأ لأهدافك القادمة بحياة لا يملكها أحد سواك. ثم إذا شئت

نَم وأنت مرتاح البال صافي الفكر واسع الصدر. نَم فالصباح ينتظر ابتسامتك؛ لتشرق الشمس. نَم فأنت الذي وهبت السماء نورها ليلا بأحلامك وإشراقتها صباحا بابتسامتك.

❝❝❝

أما أنت يا أنت، فحاولت تجاهلك منذ البداية، وكما ترى فلم أستطع المضي في تجاهلك، ربما حان وقت ذكرك مع أنك لا تستحق ثمن الحبر والصفحات التي خصصتها لك، أحاول صباح مساء تعليم نفسي أن لا أحد يستحق ذاك المقدار من الاهتمام سوى نفسي، وها أنا أكتب عن أحدهم ولا يعني ذلك اهتماما، وإنما ربما أكتب عنه كما أكتب عن أي شيء آخر كتبته في الصفحات الماضية وسأكتبه في الصفحات القادمة، كتبت عنك لمجرد أنك فكرة حاربتْ لتكون كباقي أفكاري المبعثرة بين الصفحات هذه، أتساءل إن كنت تقرأ الآن أم أن ميولك بعيد جدا عن قراءة صفحات لا أدري ماهية أهميتها لي ولك؟ ربما أن الدافع لقراءة ما كتبه غيرنا هو فهم عيشهم أو عيش تجاربهم وأفكارهم، أو للبحث عن حياة تختلف عن تلك التي نعيشها، نقرأ أي شيء آخر لم استطع وصفه حتى الآن فلم تفوزوا بالحياة التي توقعتم أن تجدوها هنا.

في كل رواية كنت أقرأها كنت أعيش تلك التفاصيل الدقيقة بينما أبطال روايتي يشربون كأسا من الشاي الدافئ مساءً، وهم يفقدون ما حاولوا الحفاظ عليه طيلة سنين وسنين، وهم ينتقلون من بلد لآخر محاولين اكتشاف أنفسهم ظانّين أن أرواحهم تنتظرهم في مكان آخر، لا أدري إن كان بحثهم عن أنفسهم صحيحا أم لا، لكنني أعلم أننا بحاجة لشيء جديد يُعيد إلينا أنفسنا التي ضلت طريقها في الفترة الماضية، كل ما أتمناه لك يا أنت، أن تكون بخير أينما حللت.

❝

ورسمت لنفسي تلك الأحلام الصغيرة التي أحب أن تكون وأحب أن يكون فيها من أحب مشاركتهم أيامي القادمة. أدركت مؤخرا أن الأحلام لم تكن لو كان الواقع كما نريد في أحلامنا التي هي طريق نجاتنا الوحيد من هذا الواقع القاسي أحيانا، والممل أحيانا أخرى والخالي من أحبتنا أياما كثيرة.

obeikandl.com

وأنا أحاول الإمساك بأفكاري العجولة دائما والمتهورة أحيانا، فها أنا أرى انتصاري بنشر صفحاتي وأسعد برؤيتكم، ها أنا أتذوق لذة نجاح آخر لم يحدث لي حتى الآن، لكنّ السعادة التي تحيطني هذه الأيام كفيلة لتذيقني الطّعم الذي أرغبه. في كل مرة أبحث فيها عن شيء جديد أبدأ بسرقة لذة الانتصار وقطف الثمار، لعلّ ذلك يجعلني أتشبث أكثر فيما أريده أن يكون جديدا لي، ورغم التمسك بهذا كله إلا أن الحياة أقوى منّا جميعا في بعض الأحيان، فلا تسمح لنا إلا بالاستمتاع بما سرقناه من لذة بيننا وبين أنفسنا، أمّا اللذة الحقيقية فتطير بعيدا مع الروح، وربما أحيانا أخرى يكون الخير لنا مُخَبّئاً وراء غصن زيتونة تكاسلنا في اختلاس النظر لما وراء ذاك الغصن، فضاع طعم اللذة وضاعت الزيتونة .

ebeikandi.com

وبما أنني فلسطينية الهوية والهوى، فلا بد من أنني أنتمي لأكثر من مدينة في بلدي المستباح، بلدي الذي تناقصت معالمه وحدوده على الخريطة التي تعلمتها في حصص الجغرافية، بلدي التائه الذي تقطعت أوصاله وقسّمته حواجز المحتل وأحزاب بلدي، فأنا يافاوية الأصل نابلسية الميلاد والمنشأ، أشتاق ليافا التي لم أرها أبدا، أشتاق لبيارات البرتقال التي كنت أشمّها في أحاديث جدي، أشتاق لطهارة يافا التي تمثلت بعيون جدتي، أشتاق للباب الذي ضاع مفتاحه قبل أن يحين موعد فتحه، أشتاق أن أعيش يافا كما عاشها سلفي، أما عن نابلس فإني أحبها كوني هنا فيها، ففيها ميلادي ومدرج طفولتي، وهي المكان الذي تعلّمت ونجحت فيه، ها أنا أنشر كتابي الذي أهديه لبيارات البرتقال الذي أكتبه هنا في نابلس، وبالرغم من سعادتي بكل شيء حولي هنا في مدينتي نابلس إلا أن غصة الاشتياق ليافا أجبرتني أن أكتب إحدى الأماني التي باتت مستحيلة، أمنية الرجوع إلى يافا، يافا العزة والجمال، مات جدي وضاع المفتاح، ولم يبق لي سوى الحلم برائحة البيارات، التي أكاد أن أشتمها كلما تذكرت جدي لأهديها كتابي هذا.

فكرة 29

لا بد أنك تملك من الأرقام أو الأيام أو الأشياء أو الأشخاص أو الأماكن ما تظنه حظّا لك وهو يقف بجانبك، ولا بدّ أنك شعرت يوما ما أن ما جلب لك الحظ مرات عديدة خانك ولو مرة واحدة، فوقف عاجزا عن مساعدتك وتلبية طلباتك التي في كل مرة تطلبها تدّعي أنك لا تريد شيئا في هذه الحياة سواها، ثم إذا تحققت بدأ تسلّحك بالشجاعة ينمو ويزداد فتطلب أكثر وأكثر، والفاجعة تكون حينها بانتظارك، فتخونك أحاسيسك وأشياؤك وأناسك الذين ظننت أنّهم الحظ في حياتك وهم بلا شك كذلك، لكنك كنت سببا في تعاستك بسبب طمعك اللانهائي.

openkandi.com

أَشَعَرْت يوما أن شيئا لك يحاول انتزاع روحك، أو تفجير عقلك بمحاولات عابثة للوصول إليه؟ أَشَعَرْت بالشوق ليوم نديٍّ يأتيك بأشيائك، لليلة صامتة تخبئ سرا: لأشيائك، لأفكارك العذبة، للغموض الذي تجهله وتحبه، للفسحة الضيقة التي تتأمل أنها طريقك للسماء وهي ليست كذلك؟ أشعرت بالاختناق الذي يجعلك حبيس أوردتك الدموية المتقطعة نحو ذاك الجزء الصغير المختبئ خلف قضبان هشة تحاول منع الاعتداء على سجينها وفشلت في منعها، فانفجرت الأوعية باكية لفراق سجينها الذي آثر أن يكون لغيرك على أن يكون لك؟

obeikandl.com

يا لعدد الأقلام التي استنفذتها في محاولاتي لتقليد خط معلمتي، وفي محاولات احتراف دفء كلمات أبي التي تهب الصفحات نورا وجمالا وشرفا، وفي محاولة تقليد كل من أحببتهم يوما، كم من الصفحات التي أعدت كتابتها دون أن أدرك شيئا منها. أتَّذكَر بريق وجه أبي في أيام كثيرة كان فخورا بما تفعل ابنته، وأرجو أن تكون كذلك يا أبتِ وأنت تقرأ سطور ابنتك الآن، فهذه الأيام ابنتك تملك من الأقلام ما يمكِّنها من كتابة كلمات تفهم كل ما فيها من لهفة وشوق وسعادة وشيء من الألم.

وإني كلما ادّعيت نسيانك أحاطتني حروف اسمك، وإني كلما لَعنت ذكراك حاصرتني ملامح خيالاتك، وإني كلما حاولت العيش دون انتظار مجيئك أُصبت بنكسة لا شفاء منها إلا الرجوع لطريق انتظارك. أعلم أنك لم تأت يوما ولن تأتي، لكنني لا أملك سوى محاولات لم تنتصر حتى الآن على شوقي إليك، لكنها أيضا لم تفشل في الرجوع والمضي معي في طريقك، لتحاول نزعي منك ومن طريقك كلما احتجت إليها، كلما احتجت أن أكون كما أريد، أن أكون وحدي دونك، ودون ذكراك، ودون

كلماتك الظالمة الجارحة، دون أي شيء منك. أتمنى أن تأتي لكنك لن تفعل ولا أريد ذلك مطلقا، فبعض أمنياتي من الأفضل لي أن لا تتحقق، فأنا أعلم جيدا أن يوما ما ينتظرني لأفي بوعدي الذي تأخر، فقد كنت مع موعد دفنك، ودفن حروف اسمك، فتتحرر الأمنية المعلقة بك ومن دنس ذكراك، فتطير محلقة في سمائي.

obeikandl.com

فكرة 31

ربما لا بدّ بشيء من الفقد أو النقص للرجوع لأحبتنا، فالإنسان متكبر بطبعه يسعى للهيمنة على ما حوله فكيف بهيمنته على أشيائه!,ربما لا بدّ بشيء من فقد عيوننا لنجتنب النظر للمنكرات والمحرمات، ربما لا بدّ بشيء من الذّل لعلّنا نستعيد كرامتنا، ربما لا بدّ بشيء من فقد عقلنا كالزهايمر، مثلا لنحرّم التفكير بما يسوّد عيشتنا الرمادية، لا بدّ بشيء من البرد لعلّنا نسترد إحساسنا الذي مات، ربما لا بدّ بشيء من الموت لعلّنا نستعيد حياتنا، ربما لا بدّ بشيء من الفشل لعلّنا نعيد أمجاد ماضينا ونجاحنا المعهود، ربما وربما....

opelkandil.com

فكرة 32

من منّا لا يتمنى أن يكون قرب حبيبه؟ فكيف إن كان هذا الحبيب هو الذي يريد قربك؟ يعفو ويغفر ويسامح أخطاءك كلها وينتظر قلبك أن يلين، كيف إن كان الحبيب هو الله الذي ندعوه أن يهدنا الصراط المستقيم، والذي نتمنى أن نرجع ونسلك طريقه؟ لكننا نجهل كيفية هذا الرجوع، ربما كان من المفروض أن لا نكتفي بدعوة الرجوع وإنما أن يردنا الله إليه ردا جميلا برحمته دون فقد أحبتنا وفقد نعمه التي لم نستطع حفظها.

obeikandi.com

فكرة 33

وإن نوى أحدهم الرحيل فلا تجعله يتذوق لذة الانتصار بسماعه رجائك ليبقى، لا تقل له أية كلمة غير: "رافقتك السلامة" وإياك أن تفسح المجال لنظراتك بإظهار ما أردت إخفاءه، دعك من ذاك المقدار من الألم والبكاء على مغادرين راحلين من قلبك الذي لم يقدم لهم سوى الدفء والحب وكل وسائل الراحة، كتلك التي يقدمونها في أفخم المطاعم وأرقى الدول الأجنبية لاستقطاب شبابنا. لا تظن أن جزاء قلبك كجزاء تلك الدول، فنحن إذا شعرنا بالراحة في بلد أجنبي قدَّمنا أفضل ما عندنا؛ لنثبت لهم أننا نستحق المكانة التي أُوكلنا بها، لكن الحال هنا ليس كالرفاهية هناك، يُقدِّم قلبك الكثير لأحبته، وكلاهما: قلبك، وضيوفه يعلمان أن لا جزاء منتظر سوى البقاء، وبالرغم من هذا كله، فالأحبة يرحلون دون ترتيبات مسبَّقة لدقات قلوبنا التي انتظمت ورتبت كل ما فيها بما يناسب ضيفها، لا تقل سوى:"رافقتك السلامة" واجعل شيئا من الدموع المهدورة على من بقي لا على من رحل أو ربما لا تتعلق بأحدهم كثيرا، فقد قرأت يوما أن الأحبة يرحلون.

لم أعد بحاجة لبقائك وحدك لتتذكرني، لم أعد بحاجة شعورك المفعم بالنقص لتتفكرني، لم أعد أحتاج لأي شيء لك صلة به، ولتدرك ما أعنيه أكثر، فأنا لم أعد أحتاجك. تلك الطفلة التي كانت تسلك الطرق التي اعتادت رؤيتك فيها غيرت اتجاهها لتلتقي بنفسها، فقد نسيت نفسها منذ أن رأتك، تلك الطفلة التي كانت ترضيها حبة شوكولاتة أدركت كم أنها ظلمت نفسها وهي تغفر لك زلاتك، التي كنت تتعمد أن تفعلها وهي تراك، كم كنتَ قاسيا وأنت تفتعل الصدف لتجبر عيني الطفلة لتكون شاهدا على حماقاتك، كم كنت مغفلا وأنت تتظاهر بالقوة أمام طفلة أخطأت عندما قررت رؤياك مرة أخرى، كبرت الطفلة لتقول لك: كن ما تريد أينما تريد، فلم أعد أنتبه لوجودك ولا صُدف مرورك.

obeikandl.com

فكرة 34

كم كان مهينا أن تجلس أمام المدفأة دون أن تشعر بأطفال المخيمات، كم كان مهينا أن تسرق دفء أطفال فارقوا الحياة بردا، كم كان مهينا أن ترهق أمّك في إعداد غداء مخصص لك لمجرد أن الطعام الذي أمضت ساعات في صنعه لم يعجبك وأطفال حُرِموا اللقمة التي لم تعجبك ففارقوا الحياة وهم جياع، كم كان مهينا أن تُعقد اجتماعات مطالبة بحق الحيوان أو بحق المساواة بين الرجل والمرأة أو بحق إحدى المصائب التي أغرقنا أنفسنا بتفاصيلها التافهة بينما أطفال في بقعة أخرى اتخذوا من الأرض فراشهم ومن السماء غطائهم، ما الفائدة من إنسانيتك التي طالبت بها قروناً متتالية إن تجمدت، فلم تشعر بتجمد ضلوع الأطفال التي بقيت الملجأ الوحيد لهم بعد أن ضاقت الأرض عليهم بدفئها، فافترشت الثلج الذي لعبنا به ومرحنا ومات تحته كثيرون دون أن نعلم أو ربما علمنا وتجاهلنا عِلمنا بذلك؟ تلك السماء التي حملت أمانيك الثقيلة لم تستطع تحمل عبء أمانيك فأسقطتها ثلجا على رؤوس من لا مأوى لهم ولا فراش، لم يستطيعوا تحمل المزيد من الظلم والبرد والنسيان، ففارقوا الحياة وتركوا حيزا لك لتضمه إلى سلسلة أملاكك، فتركض في أرض واسعة ظننت أنها لك يوما كحيوان يبحث عن فريسته دون أن يفعل شيئا آخر سوى الافتراس وتملُّك المزيد.

نابع فكرة سابقة

أين المنظمات التي نسمع عنها في نشرات الأخبار بأنها تجوب الأرض لتساعد من هم بحاجتها؟ أين الأمة العربية التي دخلت موسوعة غينيس بأكبر الأطباق التي حضَّرتها بعناية كتلك التي تحضر نفسها لزفافها؟ أين ذاك الجزء الصغير الدافئ الذي اتخذ من يسار صدرك ملجأ يحتمي به؟ أين أنت حينما تأكل وتعلم أن طفلا لا ذنب له سوى أن كان ضحية حروب أكل ما لا تقبل به الحشرات الصغيرة أن يكون طعامها؟ أين أنت حينما تغطي رأسك تحاول تجنب كل أصابع الاتهامات المصوبة نحوه وتكاد أن تفجره، لكنك تغمض عينيك وتحاول أن تغرق في سباتك العميق الذي يكون وسيلة دفاعك عن نفسك أمام محكمة الأطفال الذين ماتوا قبل أن يستطيعوا محاكمتك؟ فقد كنت في غيبوبة من هذا كله وفي قضائك، فليس على المتناوم حرج. أين أنت من إنسانيتك الكاذبة المصطنعة أمام شاشات التلفاز الذليلة؟ أين أنت؟ مِن أنت؟!.

فكرة 35

الساعة الآن الواحدة بعد منتصف الليل، وبالرغم من كل الأشياء التي تجمَّدت ولم تستطع حراكا إلا أنّ عقارب الساعة ماضية في طريقها اللانهائية، يا لقدرتها في المضيّ دون انتظار أحد! ويا لغبائها المطلق في دورانها ليلا ونهار حول اثني عشر رقما! ألم يأتِ الوقت لتملّ من تلك الأرقام؟ ألم تحاول البحث عن أرقام أخرى لعلّها تجد راحتها فيها فتتوقف عن حركتها وتريحنا معها؟ وبالرغم من حاجتنا العظيمة للوقت إلا أنه يصبح دون قيمة بعض الأحيان، كالوقت الذي يمضي في حياتنا دون أن نفعل شيئا سوى محاولة التفكير في ما مضى، كالوقت الذي يمضي بعد فقد أحبتنا. ما بال عقارب الساعة تدور وتدور دون كلل ولا ملل؟ ما الذي تسعى قوله؟ وما الهدف المنشود من دورانها منذ أن خلقنا حتى ما لا نهاية؟.

كلّ الأشياءِ تمضي،
غير أن أشياءك عالقة بينَ أضلُعي

obeikandl.com

فكرة 36

نحاول الوصول إلى الكمالية دوماً والكمال لله وحده، لكن ماذا إن وصلنا لكل ما نريد؟ ما الذي يشغلنا بعد ذلك؟ لِمَ حياتنا تزهد إن حصلنا على كل ما اشتهته أنفسنا ورغبت به أفكارنا؟ ألم تسمع يوما عن الرفاهية الممتدة في البلدان البعيدة؟ كل ما يخطر ببال تلك الشعوب محقق قبل أن يطلبوه، فلا هدف لحياتهم -كما يظنون- فلا حل لديهم سوى محاولة التخلص من حياة اعتقدوا أنهم ملكوا كل ما فيها، فتسمع كل فترة وفترة عن حالات الانتحار لديهم دون حل، لأنهم لم يعرفوا يوما كما عرفنا الدين والحياة. لا أنكر أنه لمن الجميل تحقيق أهدافنا _فها أنا أنتظر تحقيق هدف أمسى قريبا منذ أن بدأت بكتابة أول سطر قرأته في هذا الكتاب-، إنه لمن الفخر أن تصل مقصدك وغايتك من نفسك وحياتك، لكن لا يَعقل أن نحصل على قائمة أمانينا دون حساب، فإن كنت ذكيا ولا شك في ذلك فلا بأس، وعليك تحمّل الصعوبات لتصل طريق الجامعة، وإن كنت جميلا فلا بأس بشيء يذكرك بأنك بشر كمن حولك، وألا تراهم أدنى منك منزلة، لا بأس بشيء لكسر غرورك . ها أنت الآن تحقق ما أردته وما لم ترده، فماذا بعد ذلك؟

فكرة مكررة

بينما نتغزل بالمطر ونحن في فراشنا وبيوتنا والأطفال في بقعة أخرى من هذه الكرة الظالمة، جفّ الدمع في عيونهم من شدة البرد وتجمّد الدم في عروقهم بانتظار من يأويهم، وآخرون ماتوا وهم ينتظرون لقمة تسدّ رمق جوعهم، وأناس في بقعة أخرى بانتظار الكهرباء التي تنير عتمتهم المخيفة. لا كنّا ولا كانت كلماتنا ولا مشاعرنا التي لا تمنع عن أطفالنا في تلك البقاع الجوع والبرد والفقر.

obeikandl.com

أتحاكمني يا سيدي القاضي، على ما لا أملك؟ أتحاكمني على دقات قلب متناثرة,على مشاعر لا أملك تغييرها؟ لا أملك سوى الصمت والاشتياق يا سيدي القاضي، أم لأنك قاض لم تشعر يوما بما نشعر به عامة الشعب من نقص واحتياج فلم تحبّ أحدهم؟ ألم تشعر ذات ليلة أن أحدهم بدأ يرسم معالم وجهه أمامك وجعل من هذه المعالم حياة كاملة تلازمك ليالي وأياماً؟. ألَم تفكر يوما يا سيدي القاضي، في معاقبة هذا الشعور الذي قتل نصف بني وطنك؟ ألم تلاحقه أم هو الذي يلاحقنا فقط؟ لِمَ علينا أن نعيش حياة الضحايا لهذا الشعور دون المطالبة بإعدامه أو سجنه لعلّه لا يلاحقنا يا سيدي القاضي؟

openkandil.com

فكرة 37

كان علينا أن نفترق لندرك المسافة التي كانت تحجزنا، كان علينا أن نموت لندرك قيمة الحياة التي ملكناها، وكان علينا أن نجرح قلوبنا حينما قررنا أن نمنحهم مقعدا لا يليق بهم؛ لندرك حالة الإغماء للقلوب التي نقرأ عنها في روايات أمست تشبه بعضها البعض.

obeikandl.com

فكرة 38

إن كنت جربت مرة عقاب نفسك وأنت تأوي إلى الفراش، فأنت من الذين خُلقوا لهدف في هذه الحياة، فشعورك يقظ وضميرك حيٌّ يُرزق، وهذه بادرة خير تنبئ ببُزوغِ أمةِ المجدِ من جديد، لكنّ الأمةُ لن تقوم لها قائمةٌ إن وقفت مهمتكَ عندَ آخرِ محاسبةٍ لضميرك، لن تقوم لها قائمةٌ إن لم يستيقظ ضميركَ معكَ صباحاً؛ ليشرعَ في تطبيقِ الحكمِ المخالفِ لطبيعتكِ التي كنت عليها قبل آخر حساب بينك وبين ضميرك، ولا بأس إن كان الحكم قاسياً فهو ضروريٌّ لإصلاح نفسك التي تستحق الأفضل دائماً.

coelhoandi.com

تابع لهرمون السعادة

اليوم أيضاً كان لي موعدٌ مع هرمون السعادة المضاعفِ عندما قالت لي إحدى الفتيات الصغيرات: "الله يوفقك" أسمع هذه العبارة المحببةِ لي دائماً لكنني لا أشعر بها أو بصدقِها إلا ما ندر، أمّا اليومُ فقد شعرت بها منذ ساعاتٍ وها هي حتى الآن معي تدندن في أُذُني كالطربِ الأصيل، وتدُّقُ في قلبي كالعودِ العتيقِ، وتضخُ الدّم كما يُضَخُ في قلبِ طفلٍ حديثُ الولادة.

تابع هرمون السعادة، وذكريات قادمة

أسأل الله لكم أيها الشبابُ أن تغمركم فرحة اللحظة التي يقول لكم بها أطفالكم: "بابا" ولكنَّ عزيزاتي، في تلك اللحظةِ التي يلُفُ بها طفلكِ كَفَهُ على إصبعكِ أول مرة وإن لم أُجرب هذا الشعور بعد- فأنا مُتيقنةٌ بأنه كفيلٌ بضخِ الحياةِ لأيامي أعواماً عديدة، فحاله كحالِ متعةِ أول شيءٍ أتذوقه دائماً، لكن إن كان مصدر السعادةِ طفلاً، فحينها ستقفُ الكلمات صامتةً تراقبُ براءة طفلٍ كان جُلَّ اهتمامه هو ضخ السعادة في حياتنا.

ها أنا أكتب في السطر الأول في هذه الصفحة التاسعة والعشرين، ولا أدري ما الرقم الذي ستحمله عندما تصلكم -ربما يتغير بحكمِ أنَّ صفحات النشر لن تكون مماثلةً لصفحاتي هذه- وفي هذه الصفحةِ أودُ إخباركُم بأنني من البارحةِ وأنا أفكرُ باسم لهذه الكلمات المتطايرة فرحاً، والاسم الذي أسعفني اليومَ هو "لك فقط"، أرجو أن أكون قد وُفِقتُ في اختياره وستعلمُ سيدي القارئ، عندما تقارنُ بين الاسمِ الذي كُتب في هذه الصفحة بالاسم الذي في صفحة الغلاف، فإن كانا متماثلينِ فاعلم أنني لم أجد أفضلَ من هذا الاسم مسمىً لكلماتي، وإنني أتمنى أن يتماثلا، وإن لم يكونا كذلك فسترى ما الاسم الجديد، لكن في "لك فقط" أشعر بشعورك وكأنك تملك كلماتي هذه، فهذه لك أنت لا لأحد سواك على وجه هذه الكرة الأرضية التي تمتدُّ وتضيقُ حسب حالتها المزاجيةِ التي تشبهُ حالتي أحياناً، فأقلُّ الكلماتِ والأفعالِ تُعجبني عندما أريد ذلك، وربما نفسُ الكلماتِ والأفعالِ تُثيرُ غضبي عندما أظلم نفسي ولا أريدها أن تكون مرتاحة، وكأنني كتبت كلماتي لك فقط، وكأن لا نسخةً لهذه الصفحاتِ سوى نسخة واحدة أُعِدّت بعنايةٍ لتناسب ذوقك الرفيع، فلا تخذلني سيدي، وقل لي أنها ناسبت ذوقك ورِفعتكَ ومقامك.

رجـــال

كم تمتلئ حياتي رجالا بأفعالهم وأقوالهم وكل شيء فيهم ابتداء من رسولي الذي بلّغ الأمانة ونصح الأمة، صلى وبارك عليه ربي.

- إلى عمر بن الخطاب، الرجل الصلب العظيم.

- إلى أبي الذي، لا أملك ما أصف به حنانه ولا عونه ولا الفخر الذي أشعر به كلما لاصقت اسمي باسمه.

- إلى نيلسون منديلا، الذي أتمنى أن يكون قدوة لشباب أمتي.

- إلى رجب طيب أردوغان الحاكم، الذي اثبت أنه يستطيع فرض المشاعر الإنسانية في حكمه وبلده وأينما حلّ.

- إلى ابني، الذي إن أكرمني الله به يوما لعلّي أغرس فيه معنى من معاني الرجولة التي مثلها الرجال القائمون في حياتي.

obeikandl.com

النظرة الأولى

كنتُ قد ذكرتُ أن حظكَ يتمثلُ ربما في رقمٍ أو يومٍ أو مكانٍ أو أشخاص، لكن الحظَّ الحقيقيّ يكمنُ في أن ينتقي الحظٌ لكَ أشخاصاً هم الحظّ ذاتُهُ، في أن يختار لك نظرة أولى تجعلك تعشقُ كلَّ ما فيهم؛ فالنظرة الأولى كفيلةٌ بتغيير ملامح الوجهِ أحياناً، وأحيانا أخرى يتمادى هذا التغيير فيغيِّر خرائط القلب، فاحرص أن تكون ابتسامتك رفيقاً دائما لكَ؛ لتكون الصورة الأولى في مخيلةِ من رأوكَ للمرة الأولى وأحبوا بفعل ابتسامتك رؤيتك مرات أخرى، ابتسم لنفسك أولاً ثمّ لأحبتك أولا وأولاً. ربما تشعرُ أنني بالغتُ في النظرة الأولى، فهي ليست جيدةً دائماً، فبعضهم جعلَ من عبارة"I believe in hate at first sight" رفيقا لنا عندما تمرّ أسماؤهم وصورهم الوحيدة في مخيلتنا التي لم نسمح لأنفسنا بتكرارها، وإن تكررت نحاول إلهاءَ أنفسنا بالنظر إلى مشهد آخر. ومع هذا كله فإن مشكلتنا الحقيقية تكمن في أن نحب صورة ونتمنى تكرارها وتأبى المشاهد أن تُعيدَ نفسها، وتأبى مكونات الصورة أن ترجعَ ولو مفككة، يأبى كلُّ شيءٍ فيها بالتكرار فهي كالماسة أنيقةٍ مميزةٍ لا ثاني لها، فلا تقبلُ بصفاتٍ أقلّ مما هي عليه، لتراعي رغباتنا بتكرارها.

فكرة 39

إلى متى سيبقى العلمُ عاجزاً عن تفسير ظاهرة الحنينِ في هذا الفصل، فصل الشتاء؟ إلى متى سيبقى مكتوفَ الأيدي أمام ذاك القلب الضعيف؟ لماذا لم يخترعوا حتى الآن صاعقاتٍ كتلك التي تصعقُ نبضنا ليعود الدم يتدفق؟ ألم يكن كافيا عدد الذين ماتوا مرات عديدة بسبب ذاك القلب لابتكارِ صاعقةٍ لذاك الحنين القاتلِ وتوفيرها في جيبِ كلّ منّا لنصعق الأيام الماطرة التي تأخذنا بعيدا وتفرقنا عن أحبابنا دون أن نجد من ينتظر قدومنا؟

❝❝

فكرة مناقضة لأفكار مضت وأفكار آتية كفانا ألماً، كفانا ضعفاً، كفانا اشتياقاً. لا بدّ لهذه المهزلة من الاشتياقِ أن تموتَ مع كلِّ ورقةٍ تتساقط، مع كلِّ نقطةِ مطرٍ تسقطُ على رؤوسنا، محاولة إيقاظنا من غفلةِ شتاءٍ ماضٍ. على كل منغصات الحياة وما فيها من كرب أن تخضع لنا، عليكَ يا من أشتاق إليه أن تعلم أنك كلُّ شيءٍ حينما أُريد، ولا شيءٍ حينما أريد أنا لا أحد سواي، على الحياة أن تعلمَ أننا أقوى من أن تخذلنا بغدرها. على الأحياءِ كلهم أن يعلموا أننا نستطيعُ العيشَ دونهم، دونَ شفقتهم في مشاعرهم الباردةِ كهذا الشتاء، دون نظرة، دون كلمة. خُلِقنا وحدنا وسنموتُ وحدنا، فلِمَ ستكونُ الفترةُ بين الميلادِ والموتِ مناقضةً لها؟

تابع لأشياء مضت

عندما تشعرُ أن حالة من مرض الاشتياقِ أصابَك، إياكَ أن تلمس هاتفك أو أيّ شيءٍ يُخَولِكَ للاتصالِ بمن لا يشتاقون إليك، إياكَ أن تضعف أمام أوهَنِ الأحاسيس، العمر يأتي مرة لا ثاني له، فاجعل من أيامك عمريْنِ وأكثرْ في إسعاد نفسكَ، وفي تلك اللحظات من الوهنِ أشغِلْ نفسكَ بأيِّ شيءٍ يساعِدُكَ على القيام من سريرِ ضعفك، قُمْ فالحياةُ تنتظركَ فلا تكنْ غبيّاً وتُهلِكَ سعادتكَ.

❝

إحدى نعم الخالق اللانهائية

ومن مظاهر رحمة ربنا بنا أنه يشعر بنا قبل أن نشعر بأنفسنا، فَيُهيئ لنا من الناس والظروف من يخرجنا من حزننا وضيقنا إلى رحمته الواسعة.

فكرة 40

أتدري ما هو الألم؟ الألم أن تفقدَ وجهاً كنتَ تلقاهُ صباحاً فتبتسم لكَ الحياةُ، الألمُ أن تفقدَ نظركَ فيختفي الجمالُ كلّه، الألمُ أن تموتَ وأنتَ لا شيء يُذكر، الألمُ أن تكونَ والداً لأطفالٍ لم يشعروا يوماً بأنك أباً، فالفرق عظيم بين الواجبِ الإلزاميِّ في أن تكونَ والداً وبين الأشياءِ الجميلةِ التي لا تكونُ إلا في الأب، الألمُ أن تُنجبي أطفالاً لا يحتاجونكِ سوى في ترتيبِ أسرَّتِهم وتوفيرِ طعامهم، الألمُ أسمى من أن يكون اشتياقاً لخيالاتٍ لم تُرسمْ إلا في بالكَ يا عبْدَ الشّوْق.

»»

تابع لبيارات البرتقال، وللاشتياق، وللعدوى

كُنت أتمنى -وما زلت- بأن أحظى بزيارةٍ لبياراتِ البُرتقالِ في يافا، لزيارة ذاك البيت العتيقِ الذي ينتظرُ رجوعَ أهلهِ سنةً بعدَ أُخرى، لا أدري إن اعتادَ على سُكّانِه الأغرابِ أم أنّهُ أصيلٌ كأهلهِ لا ينسى؛ فالاشتياقُ ربما كالعدوى ينتقلُ من إنسانٍ لآخر ومن شجرةٍ لبيتٍ لأرضَ لمقعدٍ لا يتسعُ إلا لاثنينِ، فيمنعُكَ أن تكون وحيداً حتى وإن لم يكنْ بجانبكَ شخصٌ غيرُك، يكفيكَ أنْ تُجْلِسَ تلكَ المشاعر فتفيضَ لتملأ المقعدَ المجاور لك، فلا ثالث لكما في ذاك المقعد الثنائيّ ينغصّ عليكما جلستكما.

فكرة تغيير أخرى

وإن كنتَ ممن يودعون أحبائهم بعبارة: "أحلام سعيدة" فما الحرجُ في أن تكونَ أكثر كرما فتستبدل جملتك المعهودة بأخرى نصُّها: "حياة سعيدة". عبارات لم تخطُر على بالنا يوماً إن كانتْ تهبُ السامعين حياةً أُخرى أم لا، ربما لمْ نُفكرْ يوماً بأن أحدهم يخلقُ أياماً من السعادةِ أو الحزنِ على وترِ كلماتك. ألم تعتقد يوماً أن الأحلام معظمها بل كلها سعيدةٌ، فهي من صنعنا، فمن أردنا رؤيته في مناما أشغلنا فكرنا به دقائق وربما ساعاتٍ قبلَ نومنا فيأتينا ضيفاً خجولاً في أحلامنا. ألم تعتقد يوماً أن من تمنيْت له الأحلام السعيدة لا يحلمْ ربما أو ينسى حلمه؟ فكل ما يريده منك أن تتمنى له واقعاً سعيداً كأحلامه. إن كنتَ تقرأُ سطوري هذه وقد غابت الشمس فقلْ لمن يشُقونَ الآن طريقهم في عقلك: "حياة سعيدة"، وإن كنتَ تحب فكرة كوْنك ضمن هذه السعادة فضاعف طلبك وقل: "حياة سعيدة وأنا سبب بعضها أو كلّها" وهذا يعتمدُ على مقدارِ أمَلَكَ وحبكَ للحياة ومن فيهما، لا أعدُكَ أن ما طلبتهُ سيصبح حالك، لكن أضعف الحبِّ أن نُلقي بأمانينا في السماء وننتظر موسم الخيرِ وهطول الأماني.

توضيح

أما هذه السطورِ فلأدافعِ عن نفسي أمام صديقاتي، اللواتي ادّعيْنَ أنني على عداءٍ مع الجنس الآخر، لا يا عزيزاتي، فأنا من الممكن أن أكون بعض الأحيان ضد نفسي دفاعاً عن أيّ شيءٍ شانه آخر، وأراه أنا نفسي صحيحاً، ولا مشكلةَ لديَّ بأنْ أُحيّي رجولتهم وأثقُ بها، وتكمن مشكلتي مع الذين لا تليقُ تصرفاتهم بألقابِ القوّةِ التي يحملونها كلقبِ"رجل"،هذا اللقبُ الذي يستحقُ الكثيرَ ليملكهُ بعضهم، وكما قلتُ فأنا ضدُّ نفسي إن كانوا صادقين فيما يُفكرونَ ويفعلون.أمّا أنتنّ يا صديقاتي، فلا أعلم كيف أدركتن ذاك الحقد بيني وبين أيِّ رجل من كلماتٍ لمْ أقصد بها ما استوعبتن مفهومه بدقة، وهذا ما يزيد الطّين بلّة، اعلمنَ أنني ضدّ المساواة بيننا وبينهم، فمهما -نحن الإناثِ- بلغنا من العلمِ مكانةً إلا أن هذه الحياة بحاجةِ لرجلٍ يديرُها، فهو مَن أكرمه الله بمقومات تفوق مقوماتنا في الإدارة والتحكم، ولا أقصد التقليل من مكانتنا أبداً، فلكل منا دوره في هذه الحياة، فنحن كما تعلمنَ يا صديقاتي، صاحباتُ القلبِ الرقيقِ، وهم أصحابُ العقل المتحكم، وإن تبادلنا شيئاً مما نملكهُ -أقصد القلب والعقل- فلا بأسَ في ذلك.

****

أعلم أنني أثقلتُ رؤوسكم بمتاهة الأفكارِ التي استغرقتم وقتاً أجهلُ مقداره في قراءة صفحاتي هذه منذُ أن قررتم اقتناءها حتى الآن، منكم من ضَجرَ واكتفى بما مضى فلم يصلْ معنا إلى اعتذاري عمّا سببتُه لكم من تشتيتٍ لأفكاركم، وربما جزءٌ منكم توافقتْ أفكارُنا معا فقررت المُضيّ سوياً إلى نهاية الصفحات حتى آخر سطر في هذا الكتاب، أعلم أن منكم من يرغبُ في اكتشافِ المزيدِ تبعاً للفضوليّةِ التي خُلقتْ في كلّ منّا بمقادير مختلفة، أقول هذا وكأن العالم بانتظاري ليقرأ بعض كلماتي الأولى، وكأن لا أحد سبقني في الكتابة، وكأن العربيّة جاءت لتكون ملكي أنا فقطْ، وكأن لا أحد خطرت بباله الأفكار التي أكتبها في هذا الكتاب، وكأن العالمَ ينتظرُ حدثاً لينقسمَ عليهِ أحزاباً وشيعا، فمنكم من سيكونُ معارضاً وآخرون مؤيدون، ربما لن يتجاوزُ عددُ القارئين لصفحاتي رقماً مكوناً من ثلاثِ خانات، وما هو كفيلٌ بإشباع غروري بلذة انتصاري هو وجود عشرة منكم أو أقل أو أكثر ممّنْ سيطبقُ عبارة واحدة في حياته مما قرأه، هناك "حياة سعيدة" مثلاً، أو "كيف حالك؟" وهو يقصد معناها الدقيق، ربما قراءتكم لهذه السطور تخلقُ من المفردات ما لم يكتب "أنا هنا من أجلك"، ربما عبارة أخرى:

"أنا ومن بعدي الطوفان" فمفردات العربيّةِ كثيرةٌ، فاقتنوا منها ما تجدونه يُلبّي رغباتكم ويوصلُ قصدكم، مع أننا نعلمُ أننا مهما كُنّا حذِرينَ في انتقاءِ كلماتنا إلا أننا سنجدُ من يتربصُ لنا ليفسر الكلام على هواه، لكن في نهاية الأمر هناك حدّ فاصلٌ بين القارئ وصاحب القلم، قائمٌ على مبدأ: "للقارئ حرية الفهم، وللكاتب حرية الكلمات"

»»

كنتُ قد حدثتكم في البدايةِ أنّ الكلمات تتهاوى مسرعة تحاول الوصولَ إليكم، لكنّ هذا لم يبقَ طويلاً، فأنا الآن أستغرقُ ساعاتٍ بينَ كلِّ صفحةٍ وأخرى وكأنّ الكلمات أصابها الشلل، أو أن القلبَ أو العقلَ أو كلاهما أغرقهما الجمود، وكأنّ القلم انتقلت إليهِ برودةُ أطرافي كما ينتقلُ كلُّ شيءٍ بالعدوى، وكأنّ لا شيء يدوم على حالهِ مهما تمنينا ورغبنا.

obeikandl.com

فكرة 41+42

”كلٌّ يُغنّي على ليلاه“ هذه العبارة الأكثرُ صدقاً ونقاءً في وصفِ حالنا نحن البشر، فكما استغلّيْتُ الشتاءَ في بعض الأفكار التي تكلمت عنه سابقا فسأستنجدُ به هنا أيضا، فنحن في بيوتنا نتمنّى السّيرَ تحتَ المطرِ مع منْ يخطُرون ببالنا دونَ إذنٍ مسبق، وغيرُنا من البشرِ يغرقون في الفيضاناتِ، وآخرونَ خانتهُمْ خيامُهُم التي لا يملكون سواها فالسماءُ خيمتهم، الآن المطرُ ينهمر، والدماءُ كذلك، والعيونُ الفائضةُ دمعاً تحاولُ حبسَ ما سينهمرُ لكنْ لا حيلةَ لها، فَمتى أَمَرَ القلبُ بتخفيفِ العبءِ الذي يغشاه استجابتْ الدموعُ لرفيقها، فلعلّ سقوطَها يخففُ شيئا عنه، أَلاحظتَ العلاقةَ بين عقلكَ وقلبكَ ونظركَ يوماً ما؟ أَشعرتَ كما شعرَ كثيرٌ بأنهما كإنسانٍ واحدٍ يتجسدُ في ثلاثةِ أرواح يُكملونَ بعضهم البعض ولا يتخلونَ عن بعضهم أبداً، وإن بدا لنا أنهما -أقصدُ العقلَ والقلبَ- متضاديْن؟ لكنْ إن سمحتَ لعقلكَ بأن يمدّكَ الآن بشيءٍ من التفكيرِ فستعلمُ أنّهُ وقلبُكَ تحتَ إمرتكَ وخصوصاً تحتَ إمرة عينيْك، فمنْ تتمنّى أن تراهُ تأتيكَ مخيلتك وأفكارك به، ومنْ إذا رأيته للمرة الأولى استجابَ القلبُ لنظراتكَ فأحبّ تلكَ النظرات، فسبحان من صوّرَ الإنسانَ فأحسنَ تصويره!

ومن العبارات التي قرأتها وتعلقت بها "أن أحبّك، هذا يعني أنني وجدت أبي فيك"، لا أعلم لِمَ نحن الفتيات نعلّقُ حبنّا لنجعل من حبّ أبينا مقياساً على الطرف الآخر اجتيازه ليحظى بقلبنا، كيف يولد هذا العشق بين الأب وابنته ويا لحظها إن كانت هي الطفل الأول في حياة والديْها! ويا لتلك السعادة التي تغمرني كلما تذكرت أنني الأولى في حياة والديّ! أهي أنانيّة تحاصرنا لنحب المركز الأول دائما، أم أن لذلك المكان من الصفات ما يجذبك نحوه وتتمنى احتلاله؟ لا تستغرب يا نصف العالم، أن لا نرضى نحن النصف المقابل لنصفك بأن لا نكون سوى الأوائل، وعلاوة على ذلك المالكين الوحيدين لتلك الحياة التي نتمناها معك مستقبلا، لا تظلمنا بآرائك فأنت تعلم ما جُبلنا عليه من حب الاحتفاظ بما سنملكه ويملكنا والأمان عليه من سرقات الآخرين، وقبل هذا كله عليك أن تجتاز مقياس حبنا لآبائنا وإن كنت أشك في أنك تستطيع يوما اجتياز ذلك، لكن الذي يؤهلك لتذوق لذة الانتصار في اجتيازك لذلك هو ضعفنا لحظة النظرة الأولى، التي ملكتنا يوما وظلّت متربعة على عرش ذاكرتنا حتى الآن.

فكرة مكررة

كيف لنا ألّا نخجل من إنسانيتنا ونحن ندّعي تجمد أطرافنا والدفء يملأ بيوتنا؟ كيف لا نخجل ونحن نطالب القلب بالتجمد أو الانكسار ملبيا رغباتنا؟ كيف لا نخجل من هذا كله وأطفال سوريا يموتون بردا؟ - نعم، بردا بكل ما تحمله كلمتا: الموت والبرد من معان قاسية، ألا تخجل من فاجعة أم تفقد ابنها، وهي تحاول ضمه إلى قلبها لعلّه يشعر بالدفء قليلا فأبى إلا أن يكون ملجأه الدافئ هو القبر؟.

opeikandl.com

بنود الاتفاقية

أطلب منك قراءة هذه البنود القاسية أحيانا، لكنها ضرورية لسلامتك، ولا بأس في تنفيذ بعض منها:

1- لا أحد يموت بغياب أحد آخر مهما تعددت طرق الغياب: كالفقد أو الموت أو الهجر.

2- لا تنتظر ذما ولا مدحا لإكمال مسيرتك، فمتى بدأتها كن على قدر الحمل حتى النهاية.

3- "الله الذي خلقك لن ينساك، فاطمئن."

4- اجعل بينك وبين وسائل الاتصال مئة حاجز عندما تصاب بوعكة في مشاعرك، خوفا عليك من الآثار الجانبية الضارة لوسائل الاتصال والمميتة أحيانا.

5- لا تكن فضوليا دائما، فلا بد وأن جربت نتيجة فضولك مسبقا.

6- كن أنت، أنت فقط.

7- اصنع سعادتك ولا تنتظرها.

8- عش يومك واجعل فيه من العمر ما يتمناه الآخرون ليكونوا معك، عش يومك واخلق فيه حياة تمدك بأقصى كمية من هرمون السعادة.

9- حاسب نفسك قبل أن تنام.

10-"ولسوف يعطيك ربك فترضى"

فكرة 43

عليكم أنتم يا من تدعون إقامة الدين، أن تعلموا أن الله قد يغفر تقصيركم معه، فهو واسع المغفرة، لكننا -نحن البشر- لن نغفر لكم عجرفتكم وتعاليكم علينا وأنتم تظنون بإطلاق لحاكم أو لباسكم الحجاب الأبيض وتتفاخرون بأنكم عز هذه الأمة، ألا تخجلون من الدين الذي تدعونه وأنتم تشوهونه بتصرفاتكم التي لا تمتّ للدين بأية صلة؟ ألا تخجلون كيف من تعتبرونهم أناسا أقل درجة بالإيمان منكم علما بأنهم يعلمونكم كيف تبتسمون في وجه إخوتكم؟ وكيف لا تتعجرفون بأوامركم المستندة إلى دينكم الخاص؟ -كان لا بد لي من إخراج هذا الغضب من تصرفات الذين يدعون الدين- لكنني بالمقابل لا ولن أنسى فضل الكثيرين الذين أطلقوا لحاهم ولبسوا الحجاب الأبيض في إرشادي، فقد قابلت من الناس من حبَّبني في التقرب إلى الصواب، لأجل ابتسامتهم فقط أو تصرف طبيعي يقومون به دون أن يعتبروا أنفسهم بأنهم بأفعالهم تلك هم صفوة البشر، كونوا كما علَّمكم القرآن لا كما سولت لكم أنفسكم أمرا، أسأل الله الهداية لي ولكم وسعة الصدر على قراءة ما لا ترغبون به.

كم أتمنى لو أنني أستطيع التكلم عن كل الذين أحبهم في حياتي، وكم أتمنى أن يدرك كل أحبتي وهم يقرؤون هذه السطور -إن قرؤوها- التي حجزت أماكن لهم في صفحاتي هذه، وقبل ذلك فأماكنهم محجوزة في قلبي، بعض أحبتي لم تكفهم فقرة واحدة فلم أستطع إلا أن أكتب لهم فقرات وفقرات. كم أتمنى أن أقرأ ردودكم على ما وجدتموه هنا بأية وسيلة كانت، كالنظر إلى ملامح وجوهكم الآن أو الإبحار في مخيلتكم لعلّني أسترق بعض الأفكار التي أمطرتها عقولكم، فأنا متأكدة من أن هذه الكتابة لن تذهب سدى أبدا، فأصحاب الرفعة يقرؤون الآن كلماتي التي ربما أخطأت في صياغتها وتشكيل فقراتها بما يناسب ذوقكم، لكنني أعلم أن ما خرج من القلب صادقا لا بد بأن تصلكم ثماره ولو وصلكم منه الجزء البسيط.

أحاول أن أتخيّل ملامح ابتساماتكم، وأنتم تقرؤون سطوري لعلّ ذلك يشجعني على عدم ارتكاب الجديد من الحماقات في كتاباتي مستقبلا، فمن المخجل جدا أن نخطئ أمام أحبتنا ومن يهمنا رأيهم، ففي العصور الماضية كانت الدولة إذا أرادت عقاب أحد من أفرادها عقابا مضاعفا – كانت تجازيه بإحضار أناس يشهدون عقابه، ففي ذلك العقاب ما هو جسدي وآخر نفسي في تعذيب الروح؛ فهناك من يشهد عقابك ليقترن العقاب بخزيّ المعاقَب، فالخفية مفيدة أحيانا.

سعادة

يا لهنائك! وأنت تشعر أن الله يحبك وينصرك رغم اجتماع من في الأرض جميعهم ليكونوا ضدك، يا لتلك الثقة بحب الله لك! وهو ينجّيك من افتراءات وأكاذيب وأشياء قاسية كمن نسبها إليك، يا لرحمة الله بعباده ومحبته التي غمرت السماء والأرض وبعضا من قلوبنا! فهل استيقظت يوما والعصافير تسبح للخالق بالقرب من نافذتك؟ إن كنت حظيت بهذا فيا لهنائك وسعادتك! التي أدعو الله أن لا يحرمك منها أبدا، فسبحان من يسبح الرعد والبرق والشجر والطير له.

obeikandl.com

شفقة

كم نتجرّأ على الحزن وكل سبل الفرح بين أيدينا، كم نهوى تلك الحالة من الضعف ظانّين أن الآخرين لن يلتفتوا إلينا ويظهروا محبتهم -والأصح أن أقول شفقتهم- إلا في حال حزنك، يا لغبائك يا هذا! أتحزن لترى مقدار الشفقة التي تكسبها، ما الذي دهاك؟ ألهذا المقدار أنت ضعيف؟ كنت أراك أقوى وأنت تحارب عدوك وربما بعض الأحيان صديقك، كنت أراك أقوى وأنت تهلك عامل النظافة بأشيائك المقرفة كتصرفك وأنت ترمي بها على قارعة الطريق، كنت أراك أقوى وأنت تصرخ في وجه بريء التجأ إليك مرة ولن يلجأ إليك مرة أخرى ولو مات، فقد خَنقْتَ ملامح براءته، وهي تسودّ ندما على التجائه إليك.

وإنّي كلما اشتقتُ إليك صافحتُ
ورقاتي لعلّني أجد فيها الدّفءَ
الذي يُنسيني دفءَ ذكراك

obeikandl.com

علم

وإنه لمن الرائع أن تتعلم بالشكل الذي تراه صحيحا وبالشكل الذي تفسر به مفهوم "العلم" لكن الأسمى من ذلك أن تسخر علمك لعمارة هذه الأرض وإقامة العدل أو تقديم خدمة للناس بعلمك، فالأجر وأنت تتعلم أجر واحد، والله يعطي من يشاء، لكن الأعظم من ذلك هو مقدار السعادة التي تسكنك وأنت تسخّر علمك لخدمة البشرية، وانتظارك الأجر المضاعف، فمهما كان علمك ومهما كانت قدراتك فإياك والاستهانة بنفسك، فأنت مخلوق قادر على مد يدك لتقديم العون ولا بأس في طلبه، فليكن لك هدف أسمى من أهدافك ليعمّ الخير البشرية جمعاء.

opelkandi.com

أخاف أن أُطيل عليكم عدد صفحاتي أو أن ألزم نفسي بحدٍ أدنى من الصفحات، فأضيع في متاهة الملل والتكرار الذي أتمنى ألّا أكون قد وقعت فيه فعلا، لكنني ما زلتُ أشعر بأن ما زال لديّ ما أنوي طرحه عليكم، ربما تخونني كلماتي أحياناً لكنها سترجع ويرجع هذا القلم يكتب بسخاء كما بدأ، فقد عقدت مع الحرف اتفاقاً منذ أن بدأنا بأنّ من يبدأُ المشوار يُنهيه بنفس الدرجة من الإتقان، دونَ إفساح المجال لقلم آخر أن يُصحح أو يحذفَ أو يزيد أو يتجرأُ على فعلِ شيءٍ، دون ألّا نتجاهل مقولة أن لا عصمة إلا لنبي، لكن إن كان لكلماتي هذه أن ترى ابتسامتكم أو غضبكم فلا بدّ من أن تستحق تلك الرؤية التي أرغب حاليّاً بأن أكون كلمة ضمن كلماتي لعلّني أسعدُ بملامح وجوهكم وتأملها.

هاجس خوف يروح ويأتي

أخشى على نفسي من الذين يقرؤون كثيراً وأخاف عليهم من أن تأتي هذه الصفحات بغير المستوى الذي اعتادوا أن يجدوه وأخشى على كلماتي أن لا تجد مكانتها بين عيون الكتب وعمالقة القراء، لكنّ شيئاً ما بداخلي يقول لي: "نحن سوياً" تحت الظروف كلّها.

كنتُ قد فكّرتُ في ماهيّة مكونات الصورة التي عليها أن تليق بغلاف لصفحاتي هذه، والآن بعد أن وقع اختياري على إحداها أرجو أن تُضيف شيئاً من الجمال لكلماتي فيشع قلبكم نوراً مع كلّ مرة تقع أنظاركم بها، هذا بعد أن تقرؤوه وتضعوه في أحد رفوف حياتكم، هي صورة لا تفسير لها إلا كلّ ما هو باعث للحياة والجمال والطهارة، فأرجو أن تنال إعجابكم كما نالت إعجابي.

obeikandl.com

خطوط

يا لجمال تلك الخطوط التي حفرها العمرُ! ليقسّمَ معالمَ وجوهِ أجدادنا إلى بساتين، كلّ بستانٍ أجمل من آخر، يا لجمال الخطوطِ الأفقيّةِ! التي سطّرت نفسها لتخبرَك بماضي جدّك العظيم، يا لحلاوة كلام جدتك! عندما سردت لك تفاصيل اليوم الذي أشرقت به أنت حياة أهلك، يا للنعم التي نعيشها دونَ أن نُدرك ذلك! يا لذاك الاشتياق لكم يا أجدادنا، وللأيامِ الطّيبةِ التي كانت وأنتم هنا!.

obeikandl.com

إلى جدّي

حول بيتنا شجيرات من أنواع مختلفة، كانت تُثمر كلّ سنةٍ ثمراً طيباً مباركاً يكفي لنا ولأحبتنا، وعندما فقدنا جدّي وانتقل شعور الفقدِ لتلك الشجيراتِ، التي كان يرعاها بدأت بالموتِ حزناً عليهِ شيئا فشيئا، مع أنّ أبي أوْكَلَ إلى نفسهِ مهمة الاعتناء بتلك الثروة التي بقيتْ لنا من رائحة جدّي، إلّا أن غصونَ الخوخِ أبَتْ إلّا أن تلحقَ بحبيبها الأول وترحلَ بعد سنين.

يتبع

كانَ لجدّي طقوسه الخاصّةُ به الموكلةُ إليهِ التي لن أنساها يوماً، يا لمقدارِ فرحتي وأنا أخرجُ من الروضةِ وأراهُ منتصباً أمام البابِ ينتظرُ حفيدته! ويا للذةِ الحلوى التي كانتْ تنتظرنا كلّ يوم لنشتريها ونُطيلَ الطّريقَ لعلّ طعم اللّذة يطول ويطول! كم أشتاقُ لجدّي بكلّ ما فيه، كان يستغلّ غيابَ أبي ليسرقني من البيتِ ونذهب، كانَ يستغلُّ غيابّ أبي ليعطيني ما تبقّى في جيبه من"أغورات",أما الآن يا جدّي، فحفيدتك تسلكُ بعض الطرقِ التي اعتادت أنْ لا تمرّ بها إلّا ويدك تحمي يدَها، تسلُكُ الطّرقَ وتتذكر كلّ ما كان فيها من حياةٍ بوجودك وتبتسم وتدعو لك. واعلمُ أنّك

غادرتني منذ زمن لكنّ روحك بقيتْ هنا في غرفتك التي أهوى، إنني أسكنها الآن. أهوى ملابسك التي لم نتخلّ عنها حتى الآن، أهوى ذاك الغطاء الكبير المصنوع من صوف الماعز الذي كنتَ تجمعنا به أنا وأخي تحت يديك كالحمامة تحمي أفراخها. كم كانتْ أياماً دافئة يا جدّي، لكنْ لا تخش على حفيدتك، فقد تركتها مع رجلٍ علّمتَهُ حنانك ودفئك قبل أن ترحل، ولا تخشَ على حفيدتك من السيرِ وحيدة في الطرقات، فقد علّمتني كيف أدافع عن نفسي وأحميها قبل أن تغيب.

يتبع

في اليومِ الذي ذهبتُ لأزورَ جدّي في المشفى كنتُ أظنّ أنّه سيرجع معنا، لكن عندما قرر أهلي أن يُرجعوني إلى البيتِ سألتهم عنكَ فأجابوا أنك ستلحقُ بنا بعدَ أن يطمئنّ الطبيب على حالتك، مضى يومانِ وأنا في البيتِ أنتظرُ الطّبيبَ ليسمح لك بالعودة إلينا، وبعدَ هذا الانتظار سمحَ لك بالعودة لكنْ كنتَ قد فارقتَ حياتنا يا جدّي. فعندما جئتَ مُودعاً بيتكَ وأشجاركَ لتذهبَ إلى مثواك الأخير، لم أكنْ في البيتِ، ولم أكنْ أعلمُ ماذا يجري، سألتُ من كنت عندهم: "هدول النّاس كتار,ليه جايين عِنّا؟"،،،لا أستطيعُ تذكر جوابهم الآن، فقد كنتُ مشغولةً بأشياء أكثر من انتظارِ جوابهم، كنتُ مشغولة بعودتك وأخشى على نفسي ألا أكونَ في البيتِ لاستقبالك.

يتبع

أدركتُ بعد أُسبوعٍ أنّ غيابك طال، وأنك لم تعدْ تشتاق إلينا وإلّا لأتيتَ لزيارتنا، بعدها أدركتُ أنّك لن تأتي أبداً، ولن تنتظرني أمامَ ذاك البابِ مرةً أُخرى...أوكِلَتْ مهمةُ إيصالي للبيتِ إلى أبي، كما أوكِلَتْ إليْهِ جميع المهام التي كنتَ تقومُ بها، وفي يومٍ لمْ أعُدْ تذكر تفاصيله رجعتُ إلى البيتِ دون يدِ أحد لأمُرّ بطريقي إليك وأُلقي عليك السّلام، وأقل لك بأنني سألحق بك قريباً، فبائع الحلوى لم يعدْ ينتظرني يا جدّي، وبابُ الرّوضة لم يصبحْ جميلاً كما كان، كانَ ملوناّ بانعكاس تفاصيلِ وجهك عليه...ألا ليتَ الموتى يشتاقون فيرجعون.

يتبع

لا أُنكر أنّك كنت تزورني ليلاً حتى لا يرانا أحد، لكنني وحتى الآن كلما جاء شتاء ووقع نظري على غطائك الكبير المصوّف البارد بعد غيابك أبكاني اشتياقُك، وأبكاني انتظارُك، فما عدتَ تزورني لا ليلاً ولا نهاراً يا جدّي، إلا ما ندر.

-رحم الله موتاكم وجمعكم به تحت عرشه.

قهوة

وفي الرّوايات التي أقرأها، وفي الأشخاص الذين أعيشهم، وجدت أن في المأساة أو الحب او أي شيء مصدره ذاك الجزء الصغير منك، المختبئ وراء القضبان، في يسار صدرك علاقة وثيقة أقوى من معاهدات بلدي بقهوة سوداء مُرّة خالية من أي شيء آخر، حاولت معرفة سر هذه العلاقة، لكنني لم أجد أي تفسير سوى أننا تعودنا على رهن مشاعرنا بأشياء أكثر منها مأساوية؛ لنواسي أنفسنا عزاء قلوبنا. كنت أتمنى أحيانا لو أنني أرتشف شيئا من هذا المشروب المأساوي لعلّني أدرك حقيقة ما جهلته، ثم أتراجع في أمنيتي هذه عندما أتذكر النعمة التي يملكها الكثيرون ويتعمدون تجاهلها، ألا وهي نعمة إطلاق سراح ذاك الذي تحت القضبان، الذي لم يقبل أن يتحرر إلا بتحرر مشروبه معه، فماتا سويا ينتظران.

وإياك أن تفكر في معاقبة من لا يشتاق إليك، فإن تجرأت على ذلك فلن تعاقب أحدا غير نفسك، التي أرهقها ذاك الاشتياق ظناً منك أن من تشتاق إليه يتألم لما تتألم ويشعر بما تشعر ويحلم كما تحلم، وأنت مع تلك الأوهام كلها تُخرج صوتا من باطنك؛ ليسد طريقا نهايته ألم ذاك الاشتياق، فأنت أكثر الناس علما بأن كل ما تُحدّث به نفسك ما هو إلا وهم وخيال، يدور ويدور ولا أحد سواك يعلمه، فاختصر على روحك تلك المشقة، وعش لنفسك واسعد بمن حولك، افرح بهطول الشتاء، برؤية أبيك صباحا، بنجاحك الذي تحققه يوما بعد آخر، بأي شيء هو ملك لك. افعل ما يحلو لك إلا أن تعاقب أناسا لا تملك شيئا فيهم، لا تملك مشاعرهم، ولا فكرهم، ولا أي شيء سوى وجودهم في مخيلتك.

اقرأ ما شئت من الكتب والروايات والقصص، ثمّ -إذا شئت- ارجع لكتاب الله لتجده الكتاب الوحيد الذي يصوَّر حالك. إن كنت سعيدا تجد تلك الآيات التي تخاطبك، وإن كنت حزينا تجد الآيات التي تخفف عنك، وان كنت محتاجا فاسأل الله من فضله، فالآيات كثيرة، وإن كانت بك ضائقة لا أحد يعلمها سواك فالله يعلمها، فارجع إليه ولكتابه فلا مفر منه إلّا إليه، ثم إذا انتهيت ادعُ الله أن يذكّرك به ويكون معك يوم اللقاء.

obeikandl.com

كنت أظن -طيلة فترة طويلة مضت- أنني الوحيدة على هذه الأرض، التي وُجدت المتاعب لتكون ملكي أنا فقط،، مع أن كل جزء مني يخبرني أن هناك من يعاني فقده لبصره أو سمعه وآخرين لم يجدوا ما يسدّ رمقهم في تلك الليالي، وآخرين أمسوا بلا مأوى وآخرين فقدوا أغلى ما يملكون من أشخاص وأشياء، وبالرغم من هذا كله كان عقلي يخاطبني بل ويجبرني على أن أزيد ذاك المقدار من الحزن بمقدار آخر كان قد مضى من قبل . لا أنكر بأنني حتى الآن إذا ملكني وقت للحزن أمضيت ساعات لتذكر حزن قديم لأضيفه إلى رصيد ساعاتي، لكن الشيء الذي تمكنت من فهمه أنه لا أحد على وجه الأرض يتنفس دون ذاك المقدار من الألم لذي يتناسب طرديا مع مقدار تحمله، وأيقنت أيضا أن مقدار تحملك للمشاق يزداد بازدياد تلك المراحل الصعبة التي تجاوزتها، وأنت هنا الآن بفضل قوة تحملك التي أمدك الخالق بها.

وإنْ لحظات الوداع ملكتك_دون أدنى شك_ أياما وأياما؛ فالوداع لا ينحصر على المسافرين الذين وعدوك بالرجوع، بل هو أصعب من ذلك بكثير، لن يشعر بقسوته إلا من ودّع شخصا هو الآن راقد بسلام، بينما أنت تصارع الصعاب في هذه الدنيا، ولعلّ سبب ذلك أن الله خلق الإنسان في كَبَد. ومنكم من كان وداعه لشخص سافر ووعده بأن يبقى مخلصا وألا ينسى أياما مرت بفرحها وحزنها، فرجع ذاك الذي سافر ووعد، لكن وعوده ظلت مسافرة، فالألم هنا أقسى من الذي ودّع ميتا، فأنت ترى عزيزا عليك، وفي كل مرة تراه أجدك تحزن على تلك الوعود التي ضلّت طريقها، أما الوداع الأكثر إيلاما فهو أن تودّع أحدا لم تملكه يوما، لكن مخيلتك خانتك أياماً وربما عقداً من الزمن، وتلك المخيلة اللعينة جعلتك معه زمنا لا تعرف فيه الحزن أبدا، وعندما انتهت فترة التخدير لتلك المخيلة، وجدت نفسك تودع أحدا لا يعرفك أبدا، مع أنك تمنيت لو أن لا أحد يعرفك سوى هذا، ظنّا منك أنك لن تشقى أبدا، لو حدث ما أرعبتك به مخيلتك ونسيت أن الله لا يمنع عنك أحدا إلا ليخفف عنك آلاما وآلاما.

لم أر في حياتي أتفه من الذين يعتبرون الحياء قلة حيلة، يظنون أنك لا تستطيع ردعهم وإسكاتهم، وكأنهم جهلوا أن تغاضيك عن أقوالهم وتصرفاتهم ما هو إلا أدب لنفسك واحترام للعهد الذي قطعته معها، في أنك لن تضيّع وقتك في الرد على تفاهات بشر ظنّوا أنهم أوتوا مفاتيح القوة بتصرفات غبية.

obeikandl.com

رجال "فكرة مكررة"

قد أنعم الله عليّ برجال لا أصدق منهم ولا أجمل من قلوبهم ولا أنقى من بريق عيونهم أحد فكيف لي بعد هذا كله أن أحارب الرجال؟ كيف يعقل بأصيلة والدها سيد الرجال أن تحارب الرجال؟!.

obeikandl.com

ثلج

في هذه الليلة، أهلُ بلدي على موعد مع الثلج الذي لمّا يصل حتى الآن، وبالرغم من تأخر الوقت إلا أن الأطفال ينتظرون والنعاس يغشى عيونهم، ربما غدا يستيقظون باكرا والأرض يفرشها الطيفُ الذي أتى متأخرا ومستعجلاً، في هذه الليلة لا أشعر أنني أشتاق إلى الثلج كما عليّ أن أشتاق إليه -كما كنت أشتاق له كل عام- ربما أنني انتظرته كثيرا، فخاب ظني مرات ومرات فلم يأتِ، ألا يقولون أن من تشتاق إليهم يأتون عندما نتوقف عن ذلك، ولهذا فلن أتأثر كثيرا سواء أتى الليلة أم لم يأتِ، لكنني أخشى على الأطفال الذين لم يدركوا مفهوم الخيانة حتى الآن بأن يستيقظوا كما ناموا، فلا شيء مما انتظروه، أخشى عليهم من جرعات خيبةٍ مبكرة، أخشى على أطفال سوريا الذين اشتاقوا صديقهم الذي مات برداً عصر اليوم بأن يلحقوا به، أخشى على الذين يفترشون حدود الدول ملجأً لهم، أخشى على الذين ينتظرون الثلج ليهبوا أنفسهم الحياة من جديد، أخشى على نفسي من ضعفي حينما أرى من لم أعد أنتظره أمامي.

يا أمير ولايتي

وعندما تخرج من البيت اخرج وكأنك مستعد لمقابلة عمل، وكأنك منتظر لقاء غائب، اخرج وكأنك تقابل الناس مرة واحدة، فكن على أتم الاستعداد من حسن المظهر والمشى والكلام، وكل شيء ترغب بأن تراه في النظرة الأولى، اخرج وكأن كاميرات التصوير بانتظارك، اخرج كأنك أمير هذه الولاية، وكأنك قائد حرب لم يعهد إلا الانتصارات، اخرج لتملأ الدنيا فرحاً وبهجة.

وإن كنت ممن يحرصون على أحبّائهم، فخصص لكل منهم مكانه في قلبك وجملة ترتبط بهم، وإياك والمشابهة بين اثنين منهم، عامِلْ كلّ عزيز عليك وكأنه الوحيد الذي ملك قلبك، واجعله يترنّمُ طرباً وأنت تناديه بلقبه المحبب الذي لا يسمعه إلا منك، اجعله يغادركَ والفرحةُ تملأُ عيْنيه؛ لأنه ارتاح معك وبك، ولا تنسَ أن تبقى على سجْيتك دون مبالغة في مشاعرك، فهذه المبالغة مفضوحٌ أمرها لا محالة، ابقَ على عفويتك فأنت الأجمل كما أنت.

سكنتم القلبَ وإن لم تعلموا، خطرتم على البالِ وإن لم تأتوا، اشتقنا إليكم رغم آخر وداع، حيث كان دون وداع، غفرنا زلتكم رغم ما كان وما سيكون، أحببناكم كما أنتم فما الذي تريدونه بعد؟ تريدون من لا يفكر بكم؟ ومن لا يفكر بكم يفكر بغيركم، فبعد العناء كلّه قررنا نحن المشتاقون أن لا نشتاق إلا للموتى فهم أكثر وفاءً; فعلى الأقلّ نعلم أنهم لا يشتاقون لنا ولا لغيرنا، وهذا أضعف العدل.

وهل يشتاقُ من يموت؟ وهل يتمنى الرجوع؟ وهل يكفيه ما مضى أم أنه وإن مات تبقى النزعة الإنسانية تتملكه في حب المزيد؟

obeikandl.com

أيامٌ تمرّ

وبعض الأيّام التي نمرُّ بها نرغب أن نكون وحدنا، نرغبُ بحمل أمتعتنا ومغادرة كلّ الأشياء التي تعرفنا، كلّ الأماكن التي شهِدتْ خيباتنا، كل الأشخاص الذين خذلناهم أو خذلونا، نرغب أن نولد من جديد في بلد آخر ومكان آخر، فكلّ ما فينا يحتاج بعض الأيام للتجديد وإعادة الروح كما كانت نقيّة سعيدة لا شائبة تعكّرُ صفوها، كل ما فينا يحتاج للاعتذار، فقد ظلمنا أنفسنا وأحبتنا كثيرا، كل ما فينا ينتظر ما يمسح الذاكرة أو يُلقي بها في أعماق بحرٍ لُجيٍّ لا يعرفُ طريقَنا أبداً. وإن مررت بتلك الأيام فحاول استجماع ما بقي لك من قوة حتى تتجاوز خيبتك، فبعض الأيام لا شيء يحدث فيها سوى أن تمرّ، وتمرّ.

أناقة

ليتك تدرك مدى سعادتي وأنا أراك أنيقاً في هذا الفصل خصوصا، فكما يقولون: "الشتاء فصل الأناقة"، ولكل منّا مفهومه الخاص في أناقته ;فالبعض أناقته في لباسه وآخرون في انتقاء كلماتهم، وآخرون في أدب نظراتهم وخجلها، أما أناقتك أنت فلا مثيل لها، فلم تترك شيئا إلا كنت به أنيقاً؛ حتى ابتسامتك كانت أنيقة ككلّ شيء يخصُّك.

Ebeikandl.com

كن أفضل مما كنت عليه البارحة

اقطع عهداً على نفسك ألّا يمرّ يومٌ إلّا وتكون فيه أفضل من سابقه، ولكلٍّ منّا مفهومه الخاصّ في كيفية كوننا أفضل، فأنت تكون أفضل عندما تتقرب إلى الله أكثر، وأنت تكون أفضل عندما تتخطّى مادة جامعية خشيت ألّا يحالفك الحظّ، فتواجه الأستاذ مرة أخرى وهو يشرح المادة نفسها، أنت أفضل عندما تكسب مالاً أكثر، أنت أفضل عندما تربّي أولادك التربية التي تراها صحيحة، ويمكن بنظرك أن تكون أفضل إذا أسعدت أحدهم أو أعددت له من المفاجأة ما يليق بابتسامته، ومهما كانت الوجهة التي ترى أنك ستكون بها أفضل، كن أفضل من البارحة، المهم أن لا تتكاسل يوماً عن صعود هذا الجبل المحفوف بمزالق مميتة.

تابع للفقرة السابقة

وإن كنت ممن تملّكهم الفضول لمعرفة ما هو الأفضل بالنسبة لي، فسأجيبك بالتالي:

أنا أرى نفسي أفضل عندما أذهب لأجد صغيرات ينتظرنني لأحفظهنّ كتاب الله كما حفظته، أرى نفسي أفضل عندما تغمر السعادة وجنتي أبي وأمي، وأنا أحقق لهم أمنياتهم المتعلقة بي عندما يفخرون بي وأنا أتخرج، وأنا أعمل، وأنا أتقي الله في

البيت والشارع وكل مكان أجده معي، أنا أفضل عندما أساعد أحدهم فأسمع مشكلته وأحاول التخفيف عنه بجملة "نحن هنا سويا,سنكون أفضل",أكون أفضل عند إقناعك بأنك تستحق الكثير في هذه الحياة، فاقسُ على نفسك قليلاً لتصل مُرادك، أكون أفضل عندما أكون سببا في تغيير بعض مفردات يومك أو تصرفاتك لتكون أفضل، أكون أفضل عندما لا أخيّب توقعات الآخرين التي وضعوها حملاً عليّ، أكون أفضل عندما تُنشر كلماتي هذه وأتذوق اللذة التي تمنيْتُها مع كل كلمة كتبتها، أكون أفضل إن مَنَّ الله عليّ بالمستقبل بطفلةٍ أعلِّمها كيف يكون الحب، كيف تُصنع السعادة، كيف يتشكل الإيمان، كيف تسير الحياة، أكون أفضل عندما أموت وأنا قريبة من الله وبين أهلي.

obeikandl.com

ذنب النظرة الأولى

وآخر ما أطلبه منك هو ألّا تكون سبب خيبتي، كما كان بعضهم خيبة لدرويش عندما قال: " كنت أظن وكنت أظن وخاب ظنّي"، كُنْ على قدر الثقة التي مَلَكتها,على قدر الحبّ الذي مُنِحت، على قدر الحياة التي تعيشها، وإن لم تفعل فليس ذنبي، ربما كان ذنبُ درويش حينما منحهم حياة لا يستحقونها وثقة لم يدركوا قيمتها حتى خسروها، ربما الذنب لا ذنب أحد، ربما كان ذنب البدايات الأجمل والأطهر، ذنب النظرة الأولى التي لم ترَ عيباً ولا نقصاً.

ocelkandil.com

ولا أزكى من سرقة بعض الوقت لتناول كوب دافئ مع من يهبونك الدفء الذي تحتاجه، ولا أحلى من الابتسامة التي تُرسم على وجه الكوب بعد انعكاس وجوهنا على أكواب مُحبّينا، فالابتسامة تنتقل بالعدوى للأكواب كأي شيء آخر في هذه الدنيا مصيره العدوى.

❝

يقول أحمد مطر: "يقضي الكاتب العربي ساعات في التفكير، وأياماً في الكتابة، أسابيع في التنقيح، وشهوراً في البحث عن ناشر، وأعواماً وفي السجن". أمّا أنا فلم أفكر مطلقا بخصوص هذا الكتاب الأول، لا أعلم كيف استوطن أيامي ليكون جزءاً، لا أستطيع تجاهله ولا إنكاره، وأمّا عن الكتابة فأسبوع واحد كان كفيلاً بإنهاء فقرات هذا الكتاب، فكلّ ما خطر ببالي من فكرة دوّنتها دون تفكير مسبق بتبعاتها، وحقيقة التنقيح والنشر فقد لامستها جيدا، وبعد هذا كله فلم أدرك حتى الآن حقيقة السجن...

obeikandl.com

مواعيد

لا تسمح لليأس بأن يغزو تفاصيل حياتك، مواعيد كثيرةٌ بانتظارك، قائمةٌ طويلةٌ من المواعيد تتلهف لُقياك، موعد حُبّ وموعد أمل وموعد دفء تتجلى كلها في موعدكَ مع ابنك القادم، وفي موعدكِ مع صديقتك، وفي موعدك مع نجاحك، وفي موعدك مع أحلامك، كلها بانتظارك لتزيّن أنت زمانها ومكانها وكلّ تفاصيلها. كلّ ما عليك فعله هو إشغالُ نفسكَ بما هو مريح لقلبك، وبما فيه ابتسامة وجنتيْكَ الجميلتيْن، وبما فيه بريقُ عينيْكَ اللامعتيْن، بما فيه دقاتُ قلبكَ الخجولة، كلّ شيء بانتظارك، وكلّ شيء آت، فقط كن مع الله ولا تبالي.

هدوء

هدوء قاتل، ذاك الذي لا يسمعك شيئا غير عقارب الساعة تدّق رأسك وجعا، هدوء مميت حينما يأتي ليهديك كميات الانتظار المهملة، هدوء يجلب لك من الأفكار ما لا تستطيع تجميعه ولا إدراكه، يغشاني الهدوء هذه اللحظات ولا أحد في العالم يقف جانبي سوى تلك الدقات التي تنقر رأسي الذي يكاد أن ينفجر من ضجيجها، يا لدقة ترانيمها المملة الموجعة! يا لعدائي العظيم مع الوقت حينما لا يمنحني شيئا سوى انتظار المجهول! أما آن لبطارية العقارب أن تنفذ؟ أما آن للوقت أن يمضي أو يموت، أم نحن فقط من نموت بينما نقف على مشارف انتظار ضيف غائب ضلّ مفاتيح باب عودته؟.

openkandil.com

تابع مفصل ل"هدوء"

وإن أراد الهدوء قتلك مع مرتبة الفخر، أهداك منه تلك الكميات التي لا تسمح لك بسماع شيء آخر سوى دقات قلبك المتدفقة أمراضا مزمنة لا شفاء منها كالشوق وغيره، وإن حظيت بمحبة الهدوء لك فيا لشقائك بسماع ما لا تريد وبتذكر ما أردت نسيانه، وبالتفكير فيما يرهق أعصابك ما حاولت التخلص منه، إرهاقٌ مضاعفٌ حينما تنوي التخلص من شيء، وهدوء العالم كله اجتمع ليهديك ما نويت التخلص منه رغما عن أنفك.

obeikandl.com

فكرة مكررة لا بد من تجديدها والحفاظ عليها طيلة حياتي

وبما أنني فلسطينية فلا بد للاشتياق أن يوزع على بلادي كلها، لا أقصد تلك الحدود التي بقيت على الخارطة، إنما ما بقي بقلب كل فلسطيني، شأني شأن كل من ولد فلسطينيا يتباهى بشموخ الأقصى، وعزة غزة، وجمال يافا والناصرة وصفد ونابلس وطولكرم وجنين، وكل شبر بأرضي فلسطين، التي وإن لم تسع خارطة العالم حيز معالمها إلا أنها محفورة في قلب كل فلسطيني أبيّ رفض الذلة والاستسلام.

opeikandl.com

لأنت الآتي

ربما من الأفضل لك أن لا تستهلك مفردات قاموسك كلها فيمن هم حولك، خبئ شيئا منها للقادم الجميل الذي تتمناه وينتظرك، فلا تدري إن كان من حولك مفارقون أم لا، لا تعلم إن كانوا يستحقون ذاك المقدار كله من المفردات التي تليق بروحك الطيبة، خبئ شيئا لنفسك حينما تكون وحدك وتحتاج من يربُت على كتفك، فلن تجد سوى مفرداتك الطيبة تؤنس وحدتك، خبئ شيئا، لأنت الآتي.

obeikandl.com

جرعات

ولا تنس جرعاتك اليومية التي تساعدك على مواجهة يومك وما فيه من شوائب تعكر صفوه، تجرَّع جرعة واقية من زجاجة صبرك التي حرصت على بقائها في جيبك دون أن تنفذ، ولا بأس بجرعة فائضة من الأمل، ثم إذا بقي شيء من ذاك الإحساس بالعطش فلا بأس بجرعة من الرضا، وها هو يومك يبدأ وأنت محصَّن من كل المتطفلات التي تعيق مضيّك لمقصدك، اخرج واقتل معيقاتك كلها بابتسامتك التي لا تغَّيب أملا بواقع أجمل من الذي غفوت عليه ليلة أمس، اخرج باطمئنان أم موسى عندما ألقته في اليمّ وتيقَّنت بأن هناك فوق السماء خالقاً يتلطف بعباده، اخرج واثقا كثقة يونس الذي لبث في بطن الحوت بضع وقت، اخرج فلا مكان لك بين موتى الفراش.

لا بدّ مِنْ وجودِ مَنْ يعكّرُ صفوَ
أحلامِك ينتظرُك فورَ استيقاظك
ليضيفَ مِنْ تجاعيدِ العمرِ ما
يجْعلُك تفوقَ المائة عام.

obeikandl.com

لك أنت يا أنت

أمّا أنت، فأراك في كل شيء في حياتي، أراك في ضيف غالٍ طال انتظاره، أراك في سنبلة قمح خجلت من انتزاع قشرتها، أراك في شتاء بارد، في صباح نديّ، في قمر متعالٍ، أراك حياة متكاملة مزهرة لا تحتاج ماء ولا هواء لتكمل ما تريد إكماله، فهي قائمة بذاتها ولا وقت لديها لتراني كما أراها. ما يواسيني في ذلك أنني برغم تلك الحواجز كلها إلا أنني ما زلت أراك يا مسك الختام.

obeikandl.com

وفي نهاية هذا العدد من الفقرات والصفحات التي كانت ملجأ بعض أفكاري التي راودتني في أيام شتوية بامتياز، أود أن أخبر جميع أحبتي أنني ذكرتهم في كلماتي تلك، ويبقى الحِملُ الأكبر على نظراتهم ربما أو أفكارهم المشتتة بين فقراتي، ربما قرؤوا أسماءهم هنا وهناك، ويبقى العتب على من ملك الكثير من تلك الكلمات ولم يُدركها. شكرا لكم أحبتي رغم ما كان ورغم ما سيكون. شكرا لتلك الكلمات الصادقة التي أوصلتني إلى هنا، إلى حيث أريد، إلى قلوبكم الطاهرة. شكرا لأنكم هنا تشاركونني فرحتي وكلماتي وبعضا من أفكاري التي ربما أرهقتْكم أو أسعدتْكم أو خلقت ذاك الشعور الذي لا يكون إلا لبواكير كل شيء.

كنت أتمنى ترك سطرين بعد كل فقرة لعلَّكم تكتبون ما تحبون أن يكون. ستكون الأسطر الأولى لكتاباتكم صعبة صادقة طيبة ثم تتوالى السطور والأفكار والأحلام لتعبئة فراغ صفحات حياتكم. آخر ما أرغب قوله في هذا الكتاب الأول: أنني سعيدة بكل ما أهديتموني إياه من وقتكم وتفهمكم وعُذركم لي إن قصرت في كلمة كتبتها، تذكروني في دعائكم، في سعادتكم القادمة، في شيء صغير تحبونه.

تمّ بعون الله